البحث المعرفي

جدواه . مفاهيمه . مناهجه . تطبيقاته

د. حسن كريم ماجد الرّبيعي





www.daralwalaa.com

البحث المعرفي

جدواه، مفاهيمه، مناهجه، تطبيقاته



بيروت - لبنان، برج البراجنة، الرويس، شارع الرويس
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133 | P.O. Box: 307/25
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com | www.daralwalaa.com



ISBN 978-614-420-236-4

اسم الكتاب: البحث المعرفي.

جدواه، مفاهيمه، مناهجه، تطبيقاته.

المؤلف: د. حسن كريم ماجد الربيعي.

الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.

الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

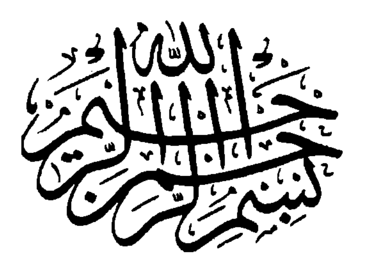
د. حسن كريم ماجد الربيعي

البحث المعرفي

جدواه، مفاهيمه، مناهجه، تطبيقاته



دار الولاء
لصناعة النشر


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعد البحوث المعرفية اليوم علامة مضيئة في الاتجاه العلمي الرصين لكشف الحقائق الموضوعية في موضوعات العلوم الإنسانية التي كثيراً ما تؤدلج لأهداف وأغراض عديدة منها سياسية ودينية وجهتية وجغرافية وغيرها من الاتجاهات المنحازة بشكل واضح مباشر وغير مباشر وتؤطر لفئة دون أخرى من خلال العرض والتبويب والأدلة والحجج بلا ضوابط بحثية أخلاقية تضع الأشياء في مواضعها وتأخذ بمنهج البحث المعرفي الحر للوصول إلى جملة الحقائق التي ينتهي إليها البحث، لأن النتائج من ضرورات البحث وإلاّ لا جدوى له إذا لم يتضمن حركة تأسيسية أو تأصيلية تؤشر قيمته المعرفية عند القراء والمفكرين.

إن الكلام عن البحث المعرفي يتطلب الحياد والموضوعية واستيعاب الثقافات المختلفة التي هي نتاجات معرفية متعددة لا تصادر لأجل اختلافها، بل تدرس وتنقب فصولها وتنقر تنقيراً بالبحث والتمحيص والتنقير المعرفي هو مقاربة تراثية مع الحفر المعرفي أو تاريخ الأفكار في الفكر الغربي، مع أن نبوغ الفكر له محددات ظرفية محل النشوء أو مصطلح البيئة الذي يدرس في تراث أمة وحضارة أخرى على نحو التأسيس أو المقاربة ودخوله في لغة

وحضارة أمة أخرى كتجدد الأدوات وتطورها المادية والفكرية في البحوث المعرفية، كتطور الترجمة ومحاولة إيجاد المعنى المقارب لا الحرفي الصعب إيجاده في لغة أخرى وبهذا نجد تطوراً هائلاً في المجالات اللغوية والبنية اللفظية ومحاولة إيجاد الجذور اللغوية لكل لغة كمحاولات بعض المفكرين الغربيين إثبات بعض المفردات القرآنية في البحث عن جذورها السابقة قبل الدخول في النص القرآني كالسرياني أو العبراني وأغلب هذه البحوث مؤدلجة غير معرفية لأنها لا تعتمد أصول البحث المعرفي الخالص.

وهنا عدة إشكاليات من أهمها، هل يمكن الوصول إلى بحث معرفي خالص؟، وهل يمكن الوصول إلى بحث تتوفر فيه المعرفية بكل أبعادها؟، وهل يمكن نشر البحث المعرفي وثقافته في عوالم الإنسانية للوصول إلى ثقافة إنسانية مشتركة مع الاحتفاظ بالهويات المختلفة؟، وهل يمكن توجيه الباحثين إلى نقطة جوهرية هي الجدوى؟، ويمكن الإجابة عن الأسئلة باتباع مرتكزات عدة للوصول لثقافة البحث المعرفي وذلك بتأسيس ثقافة البحث في ضوء نقاط ومراحل جوهرية تساعد الباحث على التوصل ولو بنسبة إلى بحث مجرد عن الخطابية والاقصائية والاستبدادية والغرائزية الثقافية والدوران حول محور التسلح المعرفي بأدواته التراثية والمعاصرة وباستيعاب المفاهيم والمناهج المتداخلة مع اختيار التطبيقات الواضحة في بيان مصاديق المفاهيم، فلا يؤمن الباحث المعرفي بحدود للفكر بين القديم والجديد لأن الفكر لا حدود له، فالمعرفي يجول بفكره حول الأفكار الموافقة والمعارضة ليحلل ويركب ويستنتج ضمن حدود أربعة نتناولها في هذا الكتاب:

١ـ الجدوى.

٢ـ المفهوم.

٣ـ المنهج.

٤ـ التطبيق.

هذه هي المرتكزات الأساسية في الوصول إلى البحث المعرفي وهي على نحو الترتب النقطي منذ الشروع حتى النتائج وربما تكون هناك نقاط مهمة سيتم تناولها في مطاوي بحوث هذا الكتاب.

ويعد هذا الكتاب محاولة تأسيسية لبحوث معرفية أكثر جدية في رسائل وأطاريح الجامعات والمعاهد التي تبحث عن المعرفة المنتجة والتخلص من البحوث المستهلكة والفارغة والتكرارية والجامدة والتي تشكل همّ المجاوزة لمرحلة معينة فقط والحصول على درجة تلك المرحلة للانطلاق بها نحو الهمّ المادي فقط، ويبقى الباحث بعد تلك المجاوزة غير منتج لأي معرفة تخدم المجتمع، ولكي نطور القدرات المعرفية فقد تجاوزت المنهج الكلاسيكي القديم، فوضعت هذه الحدود الأربعة.

والحمد لله رب العالمين

حسن كريم ماجد الربيعي

أولاً - الجدوى

تلازم البحث المعرفي نقطة جوهرية هي الإجابة عن سؤال مهم: ما جدوى البحث؟.

قد تحدث الجدوى في القيمة المعرفية للبحث المراد البدء به أو الإضافة المعرفية للبحث المراد البدء به، أو الإضافة المعرفية بالنسبة لغيره من البحوث أو يرقى إلى جدوى التأسيس أو التأصيل أو المقاربات أو إبراز ما خفي من مفاهيم تلعب دوراً حساساً في الواقع الاجتماعي أو السياسي أو القانوني، أو أن جدواه كامنة في البحث عن أصل من الأصول أو تطويراً لنظرية من النظريات كتطوير نظرية تربوية مثلاً تكون هي المحور في الانتقال من طور إلى طور آخر، أو اكتشاف فكرة ما أو اختراع ذات قيمة علمية رفيعة أو أن البحث ذات جدوى خاصة بتركيز ثقافة معينة لتقليل ثقافة العداء والعدوانية أو بيان بعض الأساليب في تقليل التفسير الخاطئ في الواقع الاجتماعي مثلاً أي تطوير نظرية في الاجتماع و بيان الواقع الميداني لمجتمع ما لغرض معالجة بعض السلبيات أي دراسة انثربولوجية.

وغير ذلك ممن يصب في البحث النافع لا البحث الضار السلبي أو الذي يكون تحصيل حاصل لما موجود كالقول ببلاغة النص

القرآني مثلاً، أو لفظ الانجيل ورد اسمه في القرآن فلا جدوى في مثل هذه البحوث التي تكون من نوع الاستهلاك المعرفي لا الإنتاج فإن سمة البحث المعرفي هو إنتاج المعرفة وسوقها للانتفاع بها في شتى ميادين الحياة.

وردت لفظة جدوى وجدوا في المعاجم اللغوية وعبر عنها بالمطر العام والعطية الجزلة[١] وأجداه أعطاه وهو عظيم الجدا والجدوى[٢]، وتقرب من معنى النافع أو عظيم النفع أو تقرب في مجال كلامنا عن البحث الأصيل أو المبتكر أو المطور أو غيرها من المفاهيم التي تؤدى إلى معناه أي معنى الجدوى المراد تنوير الباحثين بها، وربما يقال أن معنى الجدوى، هنا الجدية أو الدراسات الجادة العلمية الصرفة، وأن الأبحاث ليست كلها كذلك، نحن هنا نريد اثبات الجدوى المعرفية ذات القابلية في تطوير منحى الدراسات البحثية لا الأبحاث أو المقالات التي تعبر عن لغة خطابية انتقائية اقصائية لا كلام لنا مع مثل تلك البحوث حتى لو جاءت من أكابر المفكرين والعلماء لأنها وقتية وآنية تذهب كذهاب الرياح، الكلام عن الأبحاث المعرفية التي لها مثل هذه الصبغة، حقيقة في التعامل مع عناصر البحث النافع أو المفيد أو المبتكر أو الأصيل أو الذي يضيف حلقة مفقودة في غيره من الأبحاث المشابهة.

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ج١، ص٢٢٣.

(٢) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص٩٥.

ربما كانت لفظة الجدوى أشهر في الدراسات العلمية أو الاقتصادية فقد كانت أظهر وأبرز في التعامل مع هذه اللفظة من حيث الاستعمال الفعلي في حساب الجدوى في الاقتصاد والمال والتجارة أو أنها تمثل عصب الفكر الاقتصادي للبلدان أو الاستثمارات أو المشاريع الصناعية وربما استعيرت من غير بيئتها لتحل على الفكر والتفكير لتصحح جملة من الأبحاث التي تتعانق مع الماديات في الطرق الفعلية أو المشاريع العملية، ولا اعتقد أن كل ما ينظّر له فهو نظرية فقط فلابد وإن تجد لها طريقاً يوماً ما ومن هنا تأتي أهمية الجدوى ويمكن أن تقسم في المجال التفاعلي إلى:

١- جدوى نظرية.

٢- جدوى فعلية.

تمثل دراسات الجدوى الاقتصادية أحد العلوم الاقتصادية الحديثة التي تجمع بين المعارف المتصلة بالعديد من العلوم التجارية كالاقتصاد والإدارة والتسويق والاحصاء والمحاسبة وهذه الدراسات تهدف لبيان الحكم على صلاحية تنفيذ المشروعات الاستثمارية وتزداد أهمية دراسات الجدوى لغرض ترشيد الموارد واستخدامها بشكل أمثل[1]، وللحصول على الافكار الجديدة ترجع بعض الشركات إلى أقسام البحث والتطوير التي تقترح فكرة إنشاء مشروع جديد، وبداهة فإن التوصل لهذه الافكار هو نتيجة الأبحاث والدراسات التي

(١) عاطف وليم ندراوس، دراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات (الأسس - القواعد - الخطوات - المعايير)، (الاسكندرية؛ دار الفكر الجامعي، ٢٠٠٧م)، ص المقدمة.

تقوم بها هذه الأقسام[١]، ويمكن في ضوء الفكر الصناعي استيعاب الفائدة والثمرة من إنشاء قسم الجدوى في البحوث قبل قسم البحث والتطوير والجدوى سابقة على الجودة فإن دراسة المشروع بشكل مطلق سابق على اختيارات الجودة في الجزئيات وربما يمكن أن يقال أن الجدوى هو النظرية والجودة هي التطبيق.

وتأخذ هذه الجدوى في أغلب المشاريع المادية والمعنوية طابعاً متميزاً من الاهتمام البالغ من أصغر المشاريع إلى أعظمها وهي ممنهجة بشكل أعظم في الصناعة أو المشاريع الصناعية والتجارية ثم يقل الاهتمام بها في المشاريع الفكرية فكثيراً ما أجد عدة أبحاث ودراسات لا جدوى لها أو بعبارة الأصوليين لا ثمرة علمية ولا عملية من اقحامها فهي مجرد الكلام يجر الكلام واعتقد أن ذلك نتيجة فقدان الجدوى كأساس أولي في المشروع الفكري حتى الأيديولوجي الموجه أو المبرر لفعل سياسي أو ديني، وتكاد تعاد الأبحاث بلغات متعددة، أي الصياغة الظرفية أو صياغة اللفظ المعاصر لفكرة تراثية متكررة ومقررة في حين أن الباحث يحتاج إلى تأصيل التراث لتغيير الواقع المعرفي كجدوى مهمة في البحث عن المفاهيم التراثية وإعادة الحياة إليها لغلبة الواقع والأولوية للمواصلة والاتصال مع التطور الحاصل في شتى العلوم كالإدارة والاقتصاد والقانون والاستفادة من حركة التاريخ لتجاوز أخطاء الماضي وهذه الأبحاث أصبحت ذات جدوى كبيرة جداً في الفكر الآخر كالحفر

(١) المرجع نفسه، ص١٨.

المعرفي أو التنقير والنقد والنتيجة والنظم فضلاً عن التطور الهائل في التنمية والأجهزة التقنية والمركبات المتنوعة في عالم متغير في الماديات والأفكار.

الجدوى النظرية:

اعتقد أن الجدوى النظرية والتي تسبق الجدوى العملية عملية ضرورية لكل بحث معرفي واقصد البحث النافع الذي يهدف صاحبه إلى ثمرة نافعة على المستويات المتعددة الفردية أو الاجتماعية أو الإنسانية إذ أن الهدف السامي هو مبتغى الجدوى النافعة وقد يقال هل هناك جدوى ضارة؟

قد ترى في بعض البحوث والدراسات والمؤلفات أنه لا وجود لجدوى في خارطة البحث أصلاً أو أنه هناك جدوى (ثمرة) ضارة في تزييف واقع أو دراسة غير موضوعية تهدف لقلب الحقائق أو بيان ما هو جميل قبيح أو بالعكس فهذه أيضاً جدوى ولكنها ضارة أو ذات ثمرة ضارة جداً، وبحثنا كيف ننجز بحثاً معرفياً ذا جدوى مثمرة نافعة تعبر عن حالة إنسانية معرفية، ومعرفية اتجاه معاصر أي لأجل المعرفة قبل الحكم المسبق فلا تؤمن المعرفة بالأحكام المسبقة أو الجاهزة أو المنتقاة أو المهمشة لغيرها أو المسقطعة وغيرها من سلبيات البحث المعرفي فإن حقائق الأمور تظهر بالبحث المعرفي سواء رضينا أو لم نرض.

والجدوى النظرية لا تقتصر على جانب معرفي بل على جوانب متعددة من المعرفة والبحث، فإن المعرفة من أهم حقوق الإنسان بل

من أهم ركائز التطور والازدهار ومن أهم شروطها الدافع الإنساني لأنها غير محددة بزمن ومكان فإنها لا حدود لها وتشمل الجميع أي ذات بعد إنساني أو تطوير الواقع الإنساني نحو مشاعر الحب والجمال والعدل والعدالة ومعاني الخير ومفاهيم عالية وتطلب التنمية والنمو كتنظير معرفي مهم.

تدعو الجدوى النظرية إلى تأسيس أو تأصيل مفاهيم مشتركة كغرض أساسي إذ تتداخل العلوم في هذه الجدوى لصياغة نظرية معرفية تطبيقية أو إنسانية تعم فائدتها الكائن المعرفي للاجتماع فالغرض منها المنفعة العامة أولاً والمنفعة الخاصة ثانياً، فالأول على المستوى الإنساني والثاني على المستوى المناطقي إذا كانت الجدوى محلية في بحث جزئي، ولكن الأبحاث المعرفية الكلية في العلوم الإنسانية أولى.

تتأخر الأبحاث في بلدان عديدة، فالعراق لم يشهد نهضة في عالم الأبحاث لعوامل معروفة عاشها في ظل الرأي الواحد في حين تزدهر المراكز البحثية في شتى المجالات لتحقيق جدوى عالية من التقنية، ويبدو أن البحث العلمي الذي ينبغي ازدهاره في موطنه من التعليم العالي لتحقيق جدوى مجتمعية تفاعلية وارتفاع منسوب التنمية فيه فلا تنمية من دون أبحاث معرفية تفاعلية بين التعليم الجامعي والمجتمع لأن التفاعل بينهما هو الجدوى بعد صياغة حالة النظرية لهذه البحوث ثم الانطلاق نحو العمل والبناء وفق النظرية وجدواها.

تعقبت أكثر البحوث الإنسانية والعلمية فوجدتها تركن في غرف

لا جدوى منها لأنها لا ابتكار ولا اختراع فيها وأكثرها مستهلكات وهدفها اجتياز مرحلة من التعليم سواء بحوث أولية أو دراسات عليا أو بحوث ترقية فجدواها اجتياز حالة إلى حالة أخرى، ولا بحوث في الدراسات الدينية إلاّ نادراً، وقد تكون الجدوى فيها معدومة وخالية من المنهجية والتوثيق، فلا يعرف من القائل ومن أين المقتبس، وهي محتاجة إلى إعادة صياغة بحثية ذات جدوى نافعة وإعادة البحوث والرسائل التراثية مع اعتماد المناهج المعاصرة لغرض التجديد مع الاحتفاظ بأصالة هذا التراث الثر وذلك لاستخراج كنوزه وبث مفاهيمه بقراءة جديدة محتفظة بالثوابت العامة والضرورية لكيان هذا التراث الثر وبالذات المستوى الفكري والأخلاقي، بعد دراسة حالة التكون والصيرورة في التأسيس وشعاراته الصادقة، ومن الخطورة بمكان دراسة التراث المخلوط بأفكار ايديولوجية تراكمية أخفت كثيراً من الحقائق فتكون الجدوى ضررية مغررة وإن كانت الصبغة علمية في البحث، فالجدوى تتحقق بالنظرة الكلية مع الاحتفاظ بالنظرات الجزئية لأنها هويات آراء ومذاهب لا يمكن اقصاها أبداً لظهورها في الواقع، وجدوى البحث في الفكر الديني بيان أسس الترتب من الكليات إلى الجزئيات فالخطورة هي غياب الكليات الحاوية للجميع والجزئيات تميز وتصنيف في أغلب الأشياء المادية والمعنوية وقد تكون بعض الجزئيات عقيمة النفع كالبحث في السالبة للموضوع في الفقه الافتراضي أو التاريخي الذي تبدل فيه الموضوع وهو حاصل في القوانين كثيراً لتغيّر وتبدل نتيجة التقادم الزمني، ومن هنا تأتي أهمية البحث في الجدوى وحسابها سواء

في الأشياء المادية أو الأشياء المعنوية الفكرية المتصلة بالبحوث والدراسات وتكون أكثر حاجة في عصرنا عصر التطور العلمي الهائل في مختلف شؤون الحياة فقد أصبحت المراكز البحثية منتشرة في العالم بشكل مذهل فما من دراسة إلاّ ويبحث فيها عن جدوى العمل بعد الجدوى النظرية، في الأبحاث الإنسانية والعلمية، وقد قسمت الجدوى إلى أقسام عدة من أشهرها[1]:

١ ـ الجدوى الاقتصادية.

٢ ـ الجدوى القانونية.

٣ ـ الجدوى التشغيلية.

٤ ـ الجدوى المالية.

٥ ـ الجدوى الثقافية.

وهناك دراسات تخصصت في دراسة أبحاث الجدوى سواء كانت مراكز بحثية تحسب الجدوى بالاستشارة أو مجانية في الدراسات الأكاديمية كمراكز تقدم خدمات مجانية وتكثر في المجالات والمشاريع الصناعية والزراعية والخطط التنموية سواء كانت كبيرة (عملاقة) أو صغيرة مختصة أو مجالات الاستثمارات الكبرى أو الصغرى أو الخصخصة في المشاريع، وفي كل تبدأ الخطوة الأولى بالبحث النظري المعرفي وقيد المعرفي هو الموضوعية وعدم غلبة الموانع الغير أخلاقية في الحصول على المشاريع إذ حساب الجدوى الأخلاقية وهو ما أقصده

(١) الموسوعة الحرة، موقع الكتروني، ويكيبديا.

في هذا البحث للبعد أو الابتعاد عن التركيز فقط على النفعية من دون الوازع الأخلاقي في تحصيل الأشياء المادية والمعنوية وهو تأصيل الأصل المعرفي النظري أو الفعلي كما سيأتي ذلك.

الجدوى العملية:

قد تحصل الجدوى النظرية ولكن المشروع المعرفي لا يمكن تحقيقه على أرض الفعل والواقع كغياب مقوماته الفعلية وصعوبة الحصول على أدواته كمخطوطات ووثائق اثبات مهمة مفقودة أو لا يمكن الوصول إليها لعدة موانع إذ لولاها لكانت الجدوى العملية مطابقة لما جاء في الجدوى النظرية، ومن هنا يمكن أن يرقى البحث العلمي المعرفي في الدراسات الأكاديمية والدينية في تأسيس مراكز أبحاث الجدوى في مختلف العلوم العلمية والإنسانية ومن هنا قد يكون العمل جماعي أو مؤسساتي أكثر فائدة من العمل الفردي في تحقيق الأهداف الكبرى للدولة أو الحكم المحلي أو المشاريع البحثية الجادة.

والمراكز البحثية هي الجدوى الفعلية العملية للنهوض بالواقع إلى واقع آخر معاصر ومواكب للتطور في شتى المجالات ومنها المجال المعرفي الذي يعد هو الأساس للنهوض واليقظة من السبات أو التقوقع بحالة واحدة ودفع نظرية الاستصحاب التراجعية في البحث المعرفي الاستهلاكي والاجتراري والمحراثي الذي لا يقبل إلاّ قراءة واحدة وليست له القابلية في القراءة الثانية والثالثة أو أعمال الفكر والتأمل وإعادة صياغة الرؤية العقلية الممنوعة في البحث التراثي مع الاحتفاظ بالأصالة، مع أن التراث مليء بالآراء والتأملات بل

كثيراً ما تردد في التراث الفكري بعد طرح الآراء لفظة فتأمل، فافهم وغيرها من المفاهيم الدالة على البحث عن الثمرة والفائدة وربما عنون العديد من العلماء في كتبهم بلفظة فائدة أو فوائد قد تصل إلى أكثر من ثلاثين فائدة أي أن جدوى البحث في ذلك هي حصول تلك الفائدة وإلاّ لا فائدة في كثير من الأبحاث بل الكثير من المؤلفات على كثرتها لأنها غير محسوبة الجدوى.

ولابد من التمييز بين الجودة والجدوى فالأولى لا تخطو خطوة إلاّ بدراسة الجدوى من الجودة حسب ثمرة وفائدة الجودة ومقدماتها وتهيئة نجاحها وكيفية إقرارها في المؤسسات الحكومية والتجارية ومؤسسات القطاع العام والخاص.

أما المشاريع التربوية فلابد من تكثيف دراسات الجدوى ثم اختيار الجودة من المناهج والمفردات والكوادر الإدارية والتدريسية للنهوض بالمستوى العلمي والمعرفي أو البحث عن مقدمات النهوض بمراكز البحث المعرفي المتخصص في الجدوى، ويمكن أن نقرر أن البحث فيها يسبق إقرار الجودة في الأداء فلا جودة بلا بحث في الجدوى.

فنحن نرى من يؤكد على برنامج الجودة من دون دراسة الجدوى الفعلية، فلكي ننهض لابد من دراسة الجدوى ثم الجودة بعد فقدان مقدمات النهوض وعدم توفير أدوات وآليات النهوض كما يجري في العراق وجامعاته التي باشرت بالجودة والأداء ولكنها لم تدرس الجدوى النظرية والفعلية لبرنامج الجودة.

فدراسة الجدوى الميدانية وفي مختلف الشؤون هي مراحل تطوى بحسب مثل هذه الدراسات لحذف حلقات زائدة في السلم التعليمي مثلاً كالروابط الإدارية واستهلاك الأوراق في الترقيات العلمية أو الأوراق الثابتة في المعاملات الإدارية من كل مواطن يقدم لأي مهمة أو عمل أو مجرد التقديم في مراكز العمل أو الشؤون الاجتماعية فأصبحت هذه الأوراق على كثرتها حلقة روتينية يومية، فدراسة الجدوى تقليل الحلقات الزائدة أو حذفها للوصول للجودة في الأداء خدمة للإنسان الذي وُضعت القوانين لأجله ولمصلحته.

ومن عدم الجودة تفسير المواد القانونية لصالح المقنن وليس للمقنن له لأن القانون إنما وضع لأجل إنسانية الإنسان وعندما يفسر يجب أن يكون لصالحه وكذلك هو القانون الفقهي إذ يرفع الخطأ والنسيان والاكراهات والحرج والعسر ويفسر بالتيسير والسهولة والمرونة وهذا ما يجب إبرازه في البحوث المعرفية لأن البحث المعرفي ينحى المنحى الأخلاقي لذلك عد وندلباند (w.windelband) (١٨٤٨م - ١٩١٥م) المعرفة من مباحث القيم[١]، ومثل هذه الأبحاث المعرفية يجب أن تعزز الروح الإنسانية أو تغيّر الواقع أو تدعو إلى تغييره نحو التوافق والتعايش أو ما يصب في الصالح العام، فإن روح البحث المعرفي القيمي هو إيجاد مثل هذه الكليات ومحاولة الوصول إلى الحقائق من دون ثقافة الاقصاء والتهميش وطمس الحقائق العلمية وقد تكون مثل هذه الدراسات

---

(١) وولف، أ، فلسفة المحدثين والمعاصرين، تر: أبو العلا عفيفي، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م)، ص١٣١.

غير ذات جدوى في عالمنا المعاصر الذي تتنازعه قوى ذات اتجاهات متعددة طغى عليها الاقصاء النظري والفعلي وساعدت السياسة في زيادة الهوة بين البشر لنزاعات مصطنعة من دوائر النفعية الضيقة، فتأسست المراكز البحثية لخدمات تلك الدوائر الضيقة وضاع البحث المعرفي وسط الضجيج السياسي والإعلامي وأصبح مركز القرار السياسي هو الطاغي على كل القرارات المعرفية وخلا البحث المعرفي من القيم الأخلاقية لأنه يحمل الأهداف التسلطية إذ جدواه لتلك الدوائر النفعية وفي هذه الحالة لا تنفع المحاولات الترقيعية للرقي بالبحث المعرفي ومعرفة جدواه الجزئية أو الكلية إلاّ مطابقاً لما تريده السياسة أو الاستبدادية في كل أنحاء العالم.

ومن الغريب والعجيب كثرة المؤلفات والكتب والمقالات التي لا تعد ولا تحصى في الفكر المعاصر فلا مبالغة إذا قلنا أنها نحو من الهجومية وتنحى منحى التجاوز على الكليات العظيمة إذ أن المسيرة البشرية قد تشترك في أدبياتها باعتبارات متعددة هي وجود مثل هذا الكائن الأخلاقي أو المعرفي أو الإنسان بالتجريد.

فنحن قرأنا العديد من الكتب والمقالات التي تتكلم عن الفكر بصورة غير موضوعية بحجة حرية التعبير أو حرية التفكير أو كسر المقدس ولكن ما جدوى ذلك العمل الكتابي؟ أو الخوض في المسائل المعقدة أو الحساسة أو التي تسبب الفوضى بين الناس من دون الاستناد إلى المعرفة التي هي من مباحث القيم كما صرح وندلباند في الفكر المعاصر، وإن كانت الأسس والقواعد المعرفية تشهد بذلك إلى يومنا هذا، لأن البحث والتأليف والتصنيف وبشتى

الوسائل المعلوماتية لابد أن يحقق جدواه، وجدواه من قيمته العلمية والأخلاقية لا مجرد تسويد الصفحات لأهداف ولأغراض غير أخلاقية وغير نافعة فلا يمكن إطلاق لفظ البحث المعرفي ولا يستحق إطلاق المعرفة عليه، فالبحث المعرفي الموضوعي هو الذي يحقق أهدافه وأغراضه أهل المعرفة وينتشر جدواه ويعم، ولنا في التحقيق التاريخي لمسيرة الكتب وثقافتها التأثير الواضح في تاريخ البشرية.

وقسمت دراسات الجدوى إلى مرحلتين:

١- مرحلة دراسة ما قبل الجدوى (pre _ Feasiblity studies) يطلق على هذه المرحلة مسمى دراسات الجدوى المبدئية أو دراسات ما قبل الجدوى وهي مرحلة آتية لمرحلة اختيار الفكرة[١].

٢- دراسات الجدوى التفصيلية أو النهائية وهي تهتم بعد إقرار الفكرة في المرحلة الأولى بدرجة عمق وتفصيل الدراسات وكل هذا في الإطار النظري في التفصيل والتصنيف والفوائد والشروط[٢].

وبما أن دراسات الجدوى الاقتصادية تصوغ القرار الاستثماري[٣]، كذلك تفيد القرار المعرفي والفكري للانطلاق بالبحث المعرفي وتحويله إلى مسارات عملية أي خروجه من الإطار النظري.

كان مفهوم الجودة قد شاع استخدامه كفلسفة إدارية في المصانع والمؤسسات الإنتاجية منذ مطلع الخمسينيات من القرن الماضي

(١) عاطف وليم، دراسات الجدوى، ص٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٥.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٢.

وفي تسعينيات القرن العشرين شاع استخدامه في مجال التعليم مع اختلاف طبيعته بين المؤسسة الصناعية والمؤسسة التعليمية لكن الباحث لم يلتفت إلى مفهوم الجدوى فقال: «تشير الأدبيات إلى أن نتائج البحوث والدراسات أظهرت بشكل لا غبار عليه جدوى تطبيق مفهوم الجودة الشاملة في التعليم»[١]، ولم يلتفت إلى أن الجدوى أيضاً من مفاهيم الاقتصاد ويمكن لها أن تتداخل مع الواقع الاجتماعي برمته وهنا نريد استعارة هذه المفاهيم إلى البحث المعرفي للخروج بأبحاث غاية في الجدوى والجودة ونحن نرجح أن دراسات الجدوى متقدمة رتبة على الجودة إذ نبحث أولاً عن مشاكل البحث وثمراته ثم الاتقان في الأسلوب والعرض والأدوات والمناهج والتطبيقات.

ويمكن أن نقول بأن الجدوى ذات مرتبة أعلى من الجودة أو تتقدمها وهو ما لا نراه في الدراسات الاقتصادية والمشاريع الاستثمارية الكبرى ويمكن أن تحل دراسة الجدوى مشكلة تراكم البحوث والدراسات الإنسانية غير النافعة وفي شتى المواضيع كالبحوث الاجترارية والمستهكلة والتاريخية الاستعراضية والافتراضية غير الواقعية أو الدراسات المحرائية أو الأحكام التي تنتهي بتحصيل حاصل وغير مجدية ولا فائدة منها إلاّ الاستهلاك للمال والجهد. لقد فكر ادوارد يمينج (Esward Deming) الذي يعد أول من وضع المبادئ الأساسية للجودة في أواخر القرن العشرين في نظام التحفيز المستخدم آنذاك من أنه ليس بذي جدوى

---

(١) محسن علي عطية، الجودة الشاملة والمنهج، (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ)، ص١٦.

اقتصادية[١]، فوضع نظاماً مختلفاً أدى إلى نتائج كبيرة ومهمة على المستوى الإنتاج والنوع (الجودة) وهذا مما يدل على أن الفكر هو عبارة عن دراسات الجدوى ثم الجودة.

إن جدوى البحث المعرفي هي الخطوة الأولى التي يمكن أن تقرر الاستثمار أو المنع في البحث أي إيقافه في حالة فقدانه الجدوى منه.

والبحث المعرفي في العراق يعاني من الاجترارية والاستهلاكية والافتراضية غير المجدية فأغلب البحوث منذ عهد طويل لا تكاد ترقى إلى الجدوى النافعة فضلاً عن الجودة في العنوان والمنهج والنتائج وإذا كانت نافعة فقد ازدهرت في غير بيئتها ولا أثر لها في مجتمعها وخصوصاً بعدما أصبحت البيئة طاردة للفوائد والدراسات الجادة فانحصرت البحوث لغايات مادية صرفة أو نيل ترتبية إدارية، وشاع بين الدراسات العليا والأساتذة السرقات الفكرية وانعدام التوثيق بل أكثر من ذلك وبلا تعب عبر التقنية بأمر الكتروني (نسخ + لصق) مع تغيير الاسم وشيء من العنوان لتحقيق انتقالة إدارية في اللقب الأكاديمي لا غير، وهنا يمكن القول بانعدام الجدوى من هذه البحوث على مستوى البحث العلمي فيما يخص فلسفة الدولة في التربية والتعليم وللنهوض بالبحوث المعرفية نحو التنظير والتطبيق لابد من أمرين:

١ - فتح أقسام أو مراكز لدراسة الجدوى المعرفية في الدراسات الأكاديمية.

---

(١) محسن علي، الجودة الشاملة، ص٢٧.

٢- التحفيز المادي والمعنوي للمفكرين.

فالأمر الأول يهتم بدراسة الجدوى من البحوث المقدمة لنيل الدرجات العلمية الخاصة أو العرض في مشروعات تطويرية أو تجديد معرفي أو بيان أثر مصطلحي في الواقع الاجتماعي ويتأكد هذا الأمر ببحوث الدولة لصياغات جديدة في النظرية الواقعية أو المستقبلية لتقدم الدولة وازدهارها في أهم واقع لها هو واقع المجتمع ومحاولة تطويره الصناعي والثقافي والقضائي والإداري بل شتى صنوف التطور والازدهار ومجالات عدة، والجدوى لا تقتصر على فكر معين أو حقل معرفي خاص فهي تشمل كافة البحوث المعرفية الإنسانية وغيرها، وتتأكد في البحوث الهامة التي يترتب عليها الآثار الشرعية أو الفعلية أو الأخلاقية أو القانونية أو اللغوية وغيرهما.

والأمر الثاني يهتم بالمحفزات والبحث عن بواطن المعرفة أو التنقير العلمي بين الباحثين ممن لهم القدرة والموهبة والإصرار على التطوير المعرفي وهم بحاجة للدعم المادي والمعنوي في إبراز همومهم الثقافية وإبراز الصالح والمفيد من أفكارهم وإظهارها من مكامنها بعقد الحوارات والندوات وفتح الطرق للوصول إلى مكامن النفس والوصول إلى الأبحاث المجدية والنافعة وضمن دائرة البحث عن الجدوى المعرفي.

ثانياً - المفاهيم

قال أبو هلال العسكري (ق ٤هـ) في الفهم بأنه: تصور المعنى من لفظ المخاطب، وقيل: إدراك خفي دقيق[١]، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٢]، أو هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصة[٣].

وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): علم الشيء[٤]، وقال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحسن، يقال فهمت كذا وأفهمته إذا قلت له حتى تصوره، والاستفهام أن يطلب من غيره أن يُفهِّمَهُ[٥]، وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): تقول: من لم يؤت من سوء الفهم أُتي من سوء الافهام ومن جزع من الاستبهام فزع إلى الاستفهام[٦]، وقال السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ):

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، معجم الفروق الفردية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تحق: جماعة المدرسين، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٦هـ)، ص٤١٤.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

(٣) أبو هلال العسكري، الفروق، ص٤١٤.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٣٣٣.

(٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ)، ص٤٠٢.

(٦) الزمخشري، أساس البلاغة، ص٥٧٨.

تصور المعنى من لفظ المخاطب[1] وهذا التعريف عين ما ذكره أبي هلال العسكري في كتابه (الفروق)، هذه المعاني اللغوية لمادة وهيأة (فهم)، وقد تبين هذه التعاريف العلاقة بين المعنى واللفظ وتصور تلك العلاقة في عملية الافهام والتفهيم وأن لا يخضع هذا الفهم لجهة من دون جهة أخرى أو لمصلحة فرد أو جماعة أو منطقة دون غير ذلك أو إطلاق الألفاظ بعيداً عن أسلوب التفهيم وإرادته، وإرادة التفهيم جزء من التعبير في بيان الأحكام بل هو مقام للبيان لذلك فإن الفهم ومشتقاته معروض لتصور المعنى من خلال اللفظ هذا أقصى ما تضعه القواميس والمعاجم اللغوية لشرح مثل هذه المفردة.

وصياغة اللفظة لها لحظة انطلاق أو وضع الواضع الذي يدرس في النظرية الأصولية واللغوية أي إشارة إلى السياق التاريخي للمفهوم وهناك حالة أخرى هو زمن القراءة قد يختلف عن لحظة الانطلاق فلابد من دراسة التطورات والتحولات التي طرأت أو سوف تطرأ على اللفظة أو بعبارة أخرى دراسة تاريخ الكلمة واستعمالاتها ومادة فهم في اللغة العربية إدراك الخفي وتصوره ومنه يختلف الفهم بين الجيد والسيء مع هذا فالنصوص التراثية تشير بشكل واضح لضرورة ايقاع العملية المفهومية بشكلها الصحيح لئلا يحدث الالتباس فأكثروا من ضبط الأسماء والكلمات لايضاح المعنى وفهم الكلام وقد تطورت وسائل الفهم فأصبحت اليوم لها أدواتها المعرفية وطرقها الحديثة والمعاصرة بل أصبحت علوم اللغة والبيانات في أقصى غاياتها لما

(١) السيد الشريف الجرجاني، علي بن محمد الحسيني الحنفي، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ص١٧١.

لها من أثر كبير في الواقع الاجتماعي والتداول المعرفي التدريسي والإعلامي في عصر التطور التقني الهائل.

اهتمت الدراسات اللغوية بالمنهج التاريخي الذي يعني دراسة المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية عبر التاريخ ويهتم التاريخ من ناحية الحركة والتغيير أي تاريخ الكلمات وتغيّر دلالتها عبر العصور[١]، وتعد مثل هذه الدراسات مهمة في تتبع المفردة كمفهوم لتحقيق تطورها من حيث الدلالة في زمن انطلاقها وقراءتها ثم بيان حالات التغيّر إن وجدت أو اختفت أصلاً أو انتقلت إلى غيرها أو لم تقبل في عصر آخر وهكذا.

إن التراث اللغوي العربي كان يعتمد على الاشتقاق والتوليد والتوليد عبارة عن تحويل المعنى أو نقل الدلالة[٢].

وللمفهوم وظائف مهمة لخصها الدكتور يوسف وغليسي في كتابه المهم (اشكالية المصطلح) ننقلها للفائدة وهي على النحو الآتي[٣]:

١ - الوظيفة اللسانية.

٢ - الوظيفة المعرفية.

---

(١) حنا، سامي عياد وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧)، ص٥٩.

(٢) وغليسي، يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، (بيروت: ناشرون، ١٤٢٩هـ)، ص٣٤.

(٣) ص٤٤.

٣- الوظيفة التواصلية.

٤- الوظيفة الاقتصادية.

٥- الوظيفة الحضارية.

وهذه الوظائف أساسية في الفكر بل أن البنية المعرفية ترتكز على هذه التعريفات والوظائف فإشكالية المفهوم واقعة حقيقية لابد من تجاوزها من قبل الباحث بتشخيص تلك المفاهيم وحقل الوظيفة سواء في اللغة أو الاصطلاح، فالإشكالية واضحة فقد أنتجت الاختلافات في الأحكام والرؤى العامة والخاصة ولأجل هذه الإشكاليات وضعت المعاجم والقواميس اللغوية والمصطلحية وتغيّرت الخطابات والأحكام والأفكار والبناءات حول النص وتحليله وتأويله.

إن هذه الإشكالية أحدثت فوضى في التأليف والترجمة[1]، وزادت الفوضى الفكرية نتيجة:

١- اختلاف ثقافة المؤلفين والباحثين.

٢- اختلاف الفكر الغربي في المصطلح.

٣- الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة.

٤- الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ودلالة المصطلح على عدة مفاهيم.

---

(١) أحمد مطلوب، في المصطلح النقدي، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ)، ص٢٩٧.

وقد تصاغ مفاهيم مقصودة لزحزحة البنية الفكرية كما في الحكومات الاستبدادية لتغيير بعض المفاهيم المميزة للشعوب لإحداث الفوضى الفكرية في المجتمع ليتمكنوا من السيطرة الفاعلة، فلابد للباحث من تحديد الظرف الزماني والمكاني لتوالد مثل تلك المفاهيم وإشاعة ثقافتها لخلق أزمة ثقافية آنية أو مستديمة لتعويق النهضة ضد الاستبداد السياسي والديني والثقافي.

ثمة صعوبات تواجه الباحث في المفاهيم الإنسانية بوجه عام، أبرزها أن هذه المفاهيم لا يمكن أن تقارب المصطلحات العلمية من حيث الدقة والضبط أو أن يجمع فيها الناس على تعريف واحد أو تحديد بعينه[١]، ويكثر هذا الاضطراب في المصطلحات المعربة[٢]، ولكن يمكن رفع الاضطراب بتأصيل المفهوم أو مقاربته فإن الفكر يتقارب وخصوصاً الفكر بمفاهيمه الإنسانية وأكثره ينشأ وله دافعية فكرية أو ايديولوجية خاصة في واقع معين.

تناولت الكتب المعاصرة مادة المفهوم بالتعريف والتحديد فذكر الدكتور محسن علي عطية في كتابه (الجودة الشاملة والمنهج: بأن المفاهيم (Concepts) في اللغة لفظ يدل على اسم ذات وفي الاصطلاح فإنه يشير إلى مجموعة السمات أو الدلالات التي تستدعيها القوى الادراكية عند سماع كلمة ما لتجميع صورة ذهنية لها لتمييزها من غيرها من الأشياء ولها تعاريف أخر، لكنه ذكر أهمية تعليمها

(١) النملة، علي بن إبراهيم، إشكالية المصطلح في الفكر العربي الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ٢٠١٠م)، ص١٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٧.

وعلل ذلك بأنها تقع في مركز البنية المعرفية لدى الإنسان فهي تقع فوق المعلومات والحقائق وتحت المبادئ والقوانين؛ فهي تتكون من لبنات الحقائق وتشكل أوسع قاعدة في البنية المعرفية، وأعطى نسبة عالية لمن يمتلك هذه البنية بنسبة ٧٠٪ من النظام المعرفي[١]، وذكر أنواعها في كتابه (المناهج الحديثة وطرائق التدريس) بأنها أما مادية أو مفاهيم معنوية مثل الحق والعدالة والحرية[٢].

وجاءت كلمة مفهوم في الموسوعات والمعاجم بالشكل الآتي: مراد وهبة ذكره في كتابه (المعجم الفلسفي) بعد تقسيمه إلى[٣]:

١- **مفهوم حاسم**: وهو جملة الصفات التي تكفي لتعريف لفظ ما فمثلاً مفهوم كلمة إنسان هو الحياة والنطق.

٢- **مفهوم متضمن**: هو جملة الصفات التي يثيرها استخدام اللفظ مضافاً إليها المعاني التي تلزم عنها عن هذه الصفات لزوماً منطقياً.

٣- **مفهوم ذاتي**: هو جملة الصفات التي يثيرها استخدام لفظ ما عند الفرد أو عند جماعة بالذات أي أن كل ما يرتبط باللفظ في الذهن داخل في معناها[٤].

جاء في (الموسوعة الفلسفية) بأن المفهوم (Concept) شكل

---

(١) للمزيد ينظر: محسن علي عطية، الجودة الشاملة والمنهج، ص٢٦٣.

(٢) محسن علي عطية، المناهج الحديثة، (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ)، ص٨٦.

(٣) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٩م)، ص٤١٨.

(٤) المرجع نفسه، ص٤١٨.

من أشكال انعكاس العالم في العقل يمكن به معرفة ماهية الظواهر والعمليات وتعميم جوانبها وصفاتها الجوهرية، والمفهوم نتاج معرفة متطورة تاريخياً، وأن المفاهيم ليست جامدة وليست نهائية وليست مطلقة بل هي في عملية التطور والتغير ترقى إلى رتبة الانعكاس المطابق للواقع والمفاهيم تعطي المعنى لكلمات اللغة(١).

وجاء في (موسوعة لالاند) أنه: مجمل السمات المنسّبة إلى مفهوم ما يمكن فهمه في معان شتى:

أ - فهم شامل.

ب - فهم حدي تقريري.

جـ - فهم ضمني.

د - فهم ذاتي.

هـ - فهم رفيع(٢).

والفهم الرفيع عبارة عن التحولات اللغوية أو التقسيمات أو اللوازم لمفهوم معين.

قال لالاند: «تختلف المذاهب المتنوعة حول طريقة تصور وتفسير تشكل المفاهيم:

---

(١) لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، الموسوعة الفلسفية، باشراف: م. روزنتال وب. بودين، تر: سمير كرم، (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦م)، ص٤٨٨.

(٢) لالاند، اندريه، موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، تعريب: خليل أحمد خليل، (بيروت: عويدات، ٢٠٠٨م)، ج١، ص١٩٢.

١- **مفاهيم قبلية أو محضة**: أي المفاهيم التي تعتبر غير مستفادة من التجربة مثل مفاهيم الوحدة والكثرة عند كانط.

٢- **مفاهيم بعدية أو تجريبية**: أي تصورات عامة تحدد أصناف أشياء معطاة أو موضوعة وتناسب بكيفية واحدة وكلية مثل مفهوم اللذة، يرى التجريبيون أن لا وجود لمفاهيم قبلية ويرى بعض الفلاسفة أن المفاهيم القبلية هي على العكس المفاهيم الدقيقة لا غير، إذ إن كل مفهوم بعدي قد لا يقوم إلاّ على التشابه وليس على الماهية(١).

وعرّف المناطقة المفهوم بأنه نفس المعنى بما هو أو حقيقة الشيء الذي تنتزع منه الصورة الذهنية وقد يكون المفهوم جزئياً أو كلياً(٢).

إن المصطلحات هي مفاتيح العلوم على حد تعبير الخوارزمي وقد قيل إن فهم المصطلحات نصف العلم لأن المصطلح هو لفظ يعبر عن مفهوم والمعرفة مجموعة من المفاهيم(٣).

يذكر إدريس هاني في كتابه (ما وراء المفاهيم): «لو قدر أن نجد فرصة لتأليف كتاب حول الأخطاء الشائعة في الاصطلاح، لكان أهم من الحديث عن الأخطاء الشائعة في التداول اللغوي، ويكفي أن

(١) لالاند، المعجم، ج١، ص١٩٤.

(٢) المظفر، محمد رضا، المنطق، تعليق: غلام رضا الفياضي، تحق: جماعة المدرسين، (قم: جماعة المدرسية، ١٤٢٣هـ)، ص٧٣.

(٣) القاسمي، علي، علم المصطلح، موقع جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات الالكتروني من كتابه.

نضرب بعضاً من الأمثلة على ذلك، أننا في العالم العربي نصادف استعمالاً مائعاً ومحرفاً لبعض المفاهيم والاصطلاحات، مثل استعمالنا لمفهوم النظرية على أفكار لم تأخذ خطها من الاستدلال ولا تشكل سوى مشروع رؤية وأحياناً مجرد فرضية...»[١].

إشكاليات الترجمة:

يؤكد أركون من أنه هناك مشكلات تواجه الباحث المعاصر في نقل المفاهيم الحديثة إلى اللسان العربي وإيجاد مقابلاتها المناسبة فإن موضوع اللغة والمفاهيم والإشكالات عند نقلها قد تولد الصراعات والتواترات الجدلية وهي كذلك منذ أمد بعيد وقد اعترض أركون على عادل العوا عندما ترجم كلامه حول القرآن من أنه أي: «القرآن خطاب اسطوري البنية» أدت هذه الترجمة إلى مبادرة محمد الغزالي إلى تكفير أركون، ومعنى ذلك لابد من التثبت في الترجمة ونقل المفاهيم فقال أركون: «وعلينا أن نعتني كثيراً بأمر الصلة بين اللغة والفكر والتحري في نقل المفاهيم»[٢].

يقول مدير معهد الدراسات المصطلحية الشاهد البوشيخي من أن الاشكال المصطلحي إشكال عظيم لا يقدره قدره إلاّ الراسخون في العلم وهو على أشكال:

(١) إدريس هاني، ما وراء المفاهيم من شواغل الفكر العربي المعاصر، (بيروت: الانتشار العربي، ٢٠٠٩م)، ص١٥.

(٢) بلقزيز، عبد الإله، قرارات في مشروع محمد أركون الفكري (ندوة فكرية)، (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١١م)، ص١٦٤.

١ـ المصطلح الأصل (مصطلح القرآن والسنة).

٢ـ المصطلح الفرع (مصطلح العلوم والفنون والصناعات).

٣ـ المصطلح الوافد (المصطلح الغربي).

ثم أعقب بأن الإشكال المصطلحي في الأمة اليوم عميق وخطير ودقيق لا يتعلق ماضياً بفهم الذات وحاضراً بخطاب الذات ومستقبلاً ببناء الذات ومن الأولويات الاهتمام بالمفاهيم المكونة للذات[1]، ولذلك كان مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية من أهم مشاريع معهد الدراسات المصطلحية: فهو ذلك العمل العلمي الجامع لكل الألفاظ التي تسمى مفاهيم في أي علم[2].

فإذا كان مشروع هذا المعهد فقد قمنا بمشروع معجم المصطلحات الوافدة ونقدها في داخلها وخارج بيئتها واستعمالاتها في الداخل والخارج والمقاربات في وجود الأصيل منها في تراثنا الثر فكان مشروع المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة[3]، وهي محاولة لفهم الآخر من حيث التطور الفكري إذ أنه تناول تراثنا بالشرح

(١) البوشيخي، الشاهد، قول في المصطلح، مجلة دراسات مصطلحية، العدد الأول لسنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، مجلة حولية محكمة يصدرها معهد الدراسات المصطلحية، ص٥ ـ ٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٢.

(٣) كمل الجزء الأول منه في ثلاثة مفاهيم رئيسة هي: الابستيمولوجيا والانسانوية والانثربولوجيا على شكل أربعة مراحل ترتيبية:
١ـ جذر المصطلح.
٢ـ أول من أطلقه.
٣ـ استعمالاته في الفكر الغربي.
٤ـ استعمالاته في الفكر الإسلامي.

والتحليل والنقد بل اهتم به اشد الاهتمام ولا يمكن لنا أن نضع الموقع الحقيقي لفكرنا ما لم نقرأ الآخر قراءة واعية ثم بيان أصول وأسس تراثنا الثر الذي يحمل معاني الإنسانية بكل قوة سواء في القرآن وثقافته أو السنة - المجال التطبيقي لأصل النظرية الإسلامية - وما فيها من مفاهيم جميلة ورائعة تدعو للنزعة الانسنية بقوة.

ولكي تنهض الأمة حضارياً لابد أن تنطلق من التراث ولا سبيل إلى التراث بغير مفتاحه الذي هو المصطلحات[1] وهذا الكلام دقيق في المواصلة مع التراث ولكن باستعمال المفاتيح التي يجب معرفتها للدخول صوب هذا التراث الثر، فإن الاشكالات أصبحت واسعة في هذه المفاهيم وتجذرت في الأمة فانقسمت وخلقت التجزء والتفكك والدوائر الضيقة لذلك يعد تحديد المفاهيم من أهم المباحث الحضارية في البحث المعرفي.

فإن دراسة المفاهيم ومحدداتها تشكل واقعاً آخر في الفكر الإسلامي ينعكس تماماً على الواقع الاجتماعي ويغيّر واقع الحياة نحو العلمية التعايشية باعتبار الكليات الجامعة والجزئيات المحفوظة، وكان مشروع معهد الدراسات المصطلحية قد يتوافق مع ما دعونا له من الاهتمام بأسس الثقافة الإسلامية عن طريق فهم المصطلحات التاريخية والمعاصرة والوافدة إلينا والمتكثرة بطريقة يصعب الإلمام بها، وأصبحت سمة العصر، فالدعوة لتأسيس المعاهد والمراكز المصطلحية بات ضرورة من الضروريات التي

(١) البوشيخي، في المصطلح، ص٨٤.

تجمع الأمة وتوحدها، ومشروع الشاهد البوشيخي في المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية هو من المشاريع المهمة في هذه المرحلة، فإن هذا المعجم يؤرخ لحياة الألفاظ منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها أو موتها، متتبعاً التطور الذي طرأ عليها ولاسيما الدلالي (اتساعاً وضيقاً، واستقراراً واضطراباً) والاستعمالي (كثرة وقلة، ومكاناً وزماناً وميداناً)، والمصطلحات العلمية: هي تلك الألفاظ التي تسمى مفاهيم معينة في أي علم من العلوم بأصنافها الثلاثة:

١ - العلوم الشرعية.

٢- العلوم الإنسانية.

٣- العلوم المادية.

في أي عصر من الاعصار، وفي أي مصر من الامصار ولدى أي اتجاه من الاتجاهات وفي أي تخصص من التخصصات[1].

التراث المفهومي:

تشكلت عدة مفاهيم عند حالة الانقلاب الجذري لمفاهيم عصر الجاهلية وتغيّرت التحديدات نتيجة لتغير الولاءات من القبيلة إلى العقيدة والنظام الغائب في ذلك المجتمع المتفكك من ناحية الصياغات الاجتماعية وغياب الرؤية المستقبلية وفق فوضى الصراع

---

(١) البوشيخي، الشاهد، دراسات مصطلحية، (القاهرة: دار السلام، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، ص١٥.

والانتماء والبحث عن المادة التي تحدد الوجود والبقاء وغياب النوازع الروحية والنظرة الكونية، جاء الإسلام لينظم المفاهيم ويفتت الصراعات والخلافات ويحدد المسارات نحو معيارية متوازنة بين الحياة الدنيا والآخرة وهو ما ينطق به القانون الإلهي الذي سبق بناء الدولة ليسهل تطبيقه بعد معرفته وهضمه فتحولت الكثير من المفاهيم السائدة آنذاك إلى مفاهيم بالية مرفوضة في ظل الإنسان الجديد الذي يعتمد الواقع وتغييره نحو البناء والإصلاح ثم تجذير المفاهيم القرآنية في القول والفعل.

حدد الرسول ﷺ المفاهيم القرآنية وعرفها بالقول والفعل إذ أن الممارسة هي الجزء الأكبر في التبليغ فإن مساحة الأفعال أكثر وأكبر من الأقوال وذلك لصياغة المفهوم ومساراته العملية، فلم تكن أقوال الرسالة مجردة بل هي مصحوبة بالمساحة الميدانية لكثير من المفاهيم المصبوغة بصبغة إسلامية صرفة أو منقولة من التراث الجاهلي.

حاول الإسلام بيان مفاهيمه حتى لا يحدث الصراع المصطلحي ولكن الواقع يتكلم عن صراع مفهومي واضح بعد وفاة رسول اللّه ﷺ استمر إلى يومنا هذا سبب الانقسام والانشقاق المتكرر وجزّء المسلمين إلى تعصبات مصطلحية ضيقة في مفاهيم العقيدة والأخلاق والأحكام الفقهية فظهرت الأقوال المتعددة في المسألة الواحدة وقد يبلغ في بعضها أكثر من خمسين تعريفاً أو أكثر من ثلاثين وأكثره في النظرية الأصولية وتطبيقاتها العملية، كل ذلك لمفهوم واحد، وتمسك كل واحد بما عنده وأصر عليه وساعد

الفكر السياسي على ترسيخ هذا التمزق لفرض بسط السيطرة وامكانيتها.

فعلى الباحث في المفاهيم التاريخية والتراثية بيان أسس هذه المفاهيم وأصولها ومن ثم تطور استعمالاتها على مر العصور ليمكنه أن يكشف التحولات الطارئة على تلك المفاهيم التي بنيت عليها أصول العقائد أو أصول القانون وقواعده، أن متابعة أصل الانطلاق ثم التحول والقبول أو الرفض يكشف للباحث مراحل تطور تلك المفاهيم كمفهوم الاجتهاد مثلاً الذي رفض في المدرسة الإمامية إلى عهد المحقق الحلي الذي قبله وعرفه وهذبه واخرج منه المرفوض من أجزاءه، في حين أنه كان مقبولاً في المدرسة العامة عند المسلمين إذا قسمنا الإسلام إلى مدرسة عامة ومدرسة خاصة وهو لا يكاد يكون صحيحاً فإن الإسلام هو الجامع المشترك واختيارات الطرق اختيارات عقلية أو قبولات عقلية لأن النص الشرعي قد فهم منه ذلك.

علم المصطلح ممارسة موجودة منذ الأزل وإلى الزمن الذي نظر فيه الإنسان إلى الأشياء المحيطة به وبدأ بإطلاق الأسماء عليها، وولد علم المصطلح في الفكر الغربي الحديث والمعاصر في فيينا نحو العام ١٩٣٠م على يد مهندس نمساوي يدعى يوجين فوستير وهو الذي وضع المبادئ الأساسية لعلم المصطلح وللتقييس المصطلحي[١].

(١) ماري كلودلوم، علم المصطلح، ص١٦ من مقدمة المترجمة.

علاقة المفهوم بالمصطلح:

يعرف علم المصطلح بأنه: «العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والألفاظ اللغوية التي تعبر عنها»[١]، هذه العلاقة هي عبارة عن نظام من المفاهيم، وإن كل حقل من الحقول العلمية يتضمن مجموعة كبيرة من المصطلحات التي تعبر عن مفاهيمه اللغوية وهذه المصطلحات تقابل المفهوم في الحقل العلمي نفسه، وهذه العلاقات المتبادلة بين العناصر متميزة بالدلالة ومتجاوبة مع النظام المفهومي تجاوباً دقيقاً[٢]، وعلى رأي يوجين فوستير (١٨٩٨ - ١٩٧٧م): لا يتمحور علم المصطلح بحد ذاته وإنما حول المفهوم الذي يعبر عنه، فوظيفته تكمن في إعطاء أسماء إلى كل مفاهيم المعرفة وهذا ما يسمى بالعلاقة الاحادية فكل اسم يدل على مفهوم واحد[٣].

ولاقت هذه النظرية عدة نقود لأن المفردات نادراً ما تتمتع بمعنى واحد فقد وجهت عدة انتقادات في أوائل عام ١٩٧٠م، أن المفهوم والمصطلح يعدان العنصرين الأساسيين في علم المصطلح، وهناك فرقاً بين المصطلح والكلمة، فالمصطلحات حاملة لمعرفة متخصصة أي أنها تنتمي إلى مجال محدد من مجالات المعرفة أو بتعبير آخر إلى لغة متخصصة وترتبط ارتباطاً عضوياً بمكونات المجال المعرفي الذي تنتمي إليه[٤].

---

(١) القاسمي، علي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، (بيروت: ناشرون، ٢٠٠٨م)، ص٢٦٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٧٠.

(٣) ماري كلودلوم، علم المصطلح، ص١٧ من مقدمة المترجمة.

(٤) ماري كلودلوم، علم المصطلح، تر: ريما بركة، ص١٨ من مقدمة المترجمة.

أما المفهوم فقد عرف بأنه وحدة معرفية مستقلة لا ترتبط بالضرورة بلغة من اللغات أو بلهجة من اللهجات وإنما تنتمي مباشرة إلى المستوى الفكري (المعرفي) عناصره الأساسية[١]، ويمكن استنتاج العلاقة بين المفهوم والمصطلح فإن المفهوم هو وحدة معرفية في حين أن المصطلح تسمية لهذه الوحدة[٢].

يتناول علم المصطلح جوانب ثلاثة كالآتي[٣]:

١ـ العلاقات بين المفاهيم المتداخلة.

٢ـ المصطلحات اللغوية.

٣ـ الطرق العامة المؤدية إلى خلق اللغة العلمية.

وأهم سمات علم المصطلح هي:

١ـ المفاهيم وكيفية الوصول إلى المصطلحات.

٢ـ يعتمد المنهج الوصفي.

٣ـ يهدف إلى التخطيط اللغوي ويؤمن بالتقييس والتنميط.

٤ـ علم المصطلح علم بين اللغات.

٥ـ يختص علم المصطلح غالباً باللغة المكتوبة[٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٠.

(٣) القاسمي، علم المصطلح، ص٢٧٠.

(٤) القاسمي، علم المصطلح، ص٢٧١.

إن المفاهيم لها لحظات انطلاق متعارف عليها أما بوضع الواضع أو العرف الاجتماعي وربما يحصل التنازع في تغييره فيكون تارة النزاع في الصغرى وأخرى في الكبرى لذلك كانت هناك إشكالية كبرى في حل هذا الإشكال، ومنها مفاهيم كثيرة جداً تراثية وحديثة ومعاصرة وستظهر في المستقبل أيضاً مثل مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة والحرية والعدالة والإنسان وما يتعلق به من واجبات وحقوق وحريات ونماذجه، ومفاهيم الإصلاح والتغيير والتنمية والخدمات وكل ما يتعلق بمفهوم الدولة المعاصرة وغيرها الملايين.

هناك عدة أنواع من المفاهيم والمصطلحات مثل:

١ - المفهوم الحقيقي.

٢- المفهوم الحديث.

٣- المفهوم المطلق.

٤- المفهوم الحق.

٥- المفهوم الشامل.

٦- المفهوم الصحيح.

٧- المفهوم السائد.

٨- المفهوم الخاطئ.

٩- المفهوم الضيق.

١٠ - المفهوم المعاصر.

١١ - المفهوم العام.

١٢ـ المفهوم الأعم.

١٣ـ المفهوم الأشمل.

١٤ـ المفهوم الكلي.

١٥ـ المفهوم الشامل.

١٦ـ المفهوم الجانح.

١٧ـ المفهوم الإسلامي.

١٨ـ المفهوم الفلسفي.

١٩ـ المفهوم الاجتماعي.

٢٠ـ المفهوم الذاتي.

٢١ـ المفهوم الواضح.

٢٢ـ المفهوم المتميز.

٢٣ـ المفهوم الراسخ.

٢٤ـ المفهوم الجديد.

٢٥ـ المفهوم الدقيق.

٢٦ـ المفهوم المتفق عليه.

أما المصطلحات وأنواعها فهي مثل:

١ـ المصطلح الحديث.

٢ـ المصطلح الفني.

٣ـ المصطلح الجديد.

٤ـ المصطلح القديم.

٥- المصطلح المبهم.

٦- المصطلح المصطنع.

٧- المصطلح النقدي.

٨- المصطلح الأدبي.

٩- المصطلح الأجنبي (الوافد).

١٠- المصطلح الخاص.

١١- المصطلح النفسي.

١٢- المصطلح المبتكر.

١٣- المصطلح المستحدث.

١٤- المصطلح المتميز.

وتتراوح درجات العناية بالمصطلح بين الكثرة والقلة[1] ولكن التحديد المفهومي والاصطلاحي في غاية الأهمية للباحث.

هناك ارتباطاً وثيقاً بين الصياغات اللغوية لجملة من المفاهيم لعلاقات المعاني بالألفاظ وهي موجودة في صياغة المتكلم أو صاحب الصياغة المكتوبة أو الملفوظة وقد تكون ذات معنى قصدي جدي أو هزلي غير موضوعي لحالات نفسية مراعى بها مثل تلك الحالات النفسية كما يراعى القانون الإسلامي مثل تلك الحالات في ترتيب الآثار على تلك الألفاظ التي تحلل وتحرم ضمن القانون

---

(١) محمد إمهاوش، قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث الدكتور نجيب الكيلاني نموذجاً، (أربد: عالم الكتب الحديث، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص٧٥.

الديني فإن مثل هذه الادارات الباطنة ملحوظة وبدقة خلافاً للقانون الوضعي الظاهري الذي يهتم كثيراً بالإرادة الظاهرة ولا يرتب الأثر على الإرادة الباطنة الملحوظة في الضمير الذي يحركه الوازع الديني والأخلاقي، ويمكن التقصي من حالات كثيرة نتيجة خلط الألفاظ أو المفاهيم والمصطلحات وتكثر المناقشات والجدالات العقيمة حول المفاهيم والمصطلحات وإن قالوا صراعات ونزاعات في الصغرى ولا مشاحة في الاصطلاح، ولكن مما يلفت النظر عدم وجود ضوابط واضحة في السير المصطلحي، فإن كثيراً من المصطلحات والمفاهيم قد تغيّرت تعاريفها إلى معان جديدة صارت تنطبق على مفاهيم ومصطلحات القرون الماضية، وهو ما وقع فيه الكثير ممن يعالج تطورات الظاهرة التاريخية والبناء المفهومي لتحليل جملة من الظواهر التاريخية التي يجب أن تفسر مفاهيم التاريخ في ضوئها آنذاك أو كيف يفهم المفهوم التاريخي وفق رؤية البنية الاجتماعية ووفق التعامل والتداول المفهومي آنذاك وإلاّ كانت الأحكام غير موضوعية بل جناية على التاريخ وعلى المؤرخ وكذلك بقية العلوم الإسلامية مثلاً إذا كان الكلام عن التراث، أما الألفاظ المعاصرة والتي تتولد لابد من مراعاة بيانها وضبطها وفق الأصول والقواعد العربية حتى لا تكون مضطربة أو مشتتة بحيث يصعب فهمها لكثرة تعاريفها سواء كانت مترجحة أو موضوعة بوضع جديد.

ومن الاشكاليات الكبرى خلو المعاجم اللغوية من بعض المفردات وهنا الباحث في حيرة من أمره في العثور على تعاريف لمفاهيم ومصطلحات غير موجودة وهي قد لا تحصى لكثرتها لسرعة

تطور العلوم واتساعها، فلابد إذاً من الترجمة أو التعريب المصطلحي أو التعديل أو التوليد أو غيرها من الطرق في الوصول إلى المفهوم والمصطلح وبيانه[١]، بل أن العالم اليوم يعيش صراع التأويلات كما صرح جان بول غوستاف ريكور في كتابه المهم (صراع التأويلات) فقد وصف صراعه في سرديات ذاتية بقوله: «ولقد كرست نفسي من غير أن أضيع خيط انتمائي إلى الحركة الظاهراتية والهيرمينوطيقية على الوجه الخلاق للسان، فكيف صيغت المعاني الجديدة؟ يمكن أن نسمي هذه القضية قضية التخيل الدلالي...)[٢]، ومنه انطلق ليقول أن هذا التخيل هو الذي أوجد التعدد والقراءة الأخرى أو القابلية لقراءات متعددة في نص واحد ولا فرق بين أن يكون من النصوص الدينية أو غيرها من النصوص الشعرية أو البلاغية أو الاجتماعية الأدبية أو السياسية أو الاقتصادية أو غيرها من الصياغات المتخيلة في الاعداد والمنشأ ثم ظهورها على أرض الظاهر ليفهم أو هي للتفهيم عن طريق ألفاظ متخيلة أولاً، ومنه يفهم الاستعارات والكنايات والعمق المفهومي أو الاصطلاحي المعروض لعلم من العلوم، وقال ريكور في موضع آخر: «التجديد الدلالي، وخلق المعنى، وذلك بالاستناد إلى الوحدات الأساسية الثلاث للسان: الكلمة، الجملة، النص - يغطي مفهوم الخطاب الوحدتين الأخيرتين -»[٣].

---

(١) الحيدري، محمد، معجم الأفعال المتداولة ومواطن استعمالها، (قم: مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، ١٤٣١هـ)، ص١٤.

(٢) بول ريكور، صراع التأويلات، تر: منذر عياشي، مر: جورج زيناتي، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٥م)، ص١٦.

(٣) ريكور، صراع التأويلات، ص١٦.

وهنا يمكن الوصول إلى تركيبات تجديدية هامة في صياغة أنواع من المفهومات والمصطلحات في إيجاد العلاقة بين الكلمة ووضعها في الجملة أو النص لصياغة مفهوم خطاب أو ربما نقول صناعة الخطاب العلمي والفكري للوصول إلى الفهم أو التفهيم عبر الألفاظ والمعاني أي يمكن إيجاد التفسيرات الجديدة ضمن هذه الأدوات في بعث المعنى الملائم أو الذي يريده الواضع إلى حيز الوجود في أي خطاب، فنحن ننظر إلى الخطابات الدينية في حيز ظهورها مع أنها قواعد عامة وأساسيات في معاني الوجود والحياة وإلاّ لماتت تلك المفاهيم بعد ظهورها لأنها غير ملائمة لتفكيرنا اليوم وبقاء مثل تلك المفاهيم حيّة ونافعة في الصياغة والصناعة اللغوية يجعل منها أدوات فكرية تراثية تصلح أن تبحث بأدوات فكرية معاصرة وتعطي ثمارها بلحاظات الأبعاد المفهومية لتلك المفاهيم الرائعة في الوجود كمفاهيم الألفاظ القرآنية التي تضع الأسس في الصياغة الجدية والانعاش الاجتماعي وتداول ثقافة في الكلام والمحاورة في قمم الحضارة والتجديد بشرط التحول من النظري إلى العملي فلم يزل العالم الإسلامي يعاني الانفصال عن ثقافته وتأخذه ثقافات متعددة وتسيّره الطقوس القشرية بفهم المفهومات المتعلقة بتاريخ متحول أعني أصالة التقدم نحو المجد فمن تساوى يوماه فهو مغبون، فإن فهم التطورات الفكرية وتغيّر آليات الفهم التقني يومي التقدم الحضاري والتنموي نحو المعرفة في كل شيء أي الثورة المعرفية في كل المجالات على أن تبدأ من أسس الدراسات التخصصية والإبداع والابتكار أي احتضان الطاقات بعيداً عن الهويات الفارغة الحاصلة

على ألقاب غير منتجة تماماً والتي تخلط المفاهيم الحاضرة بالماضية مع اختلاف التعاريف وهو حاصل لذوي الثقافات المحدودة فيفسر ويتأول الأشياء الفكرية حسب الهوى والعقيدة والنوازع المختلفة وهو التزييف للواقع الحقيقي كايديولوجيا تبريرية أو يوتوبيا - خيالية - أسطورية كما فهمت أو تخيلت في ذاكرة الماضي وانتقلت ضمن التراث الإنساني.

يذكر لنا مراجع كتاب (صراع التأويلات) كلاماً دقيقاً: «وكان ريكور يدرك أنه بعد اليوم لا يستطيع أن يكتفي بالظاهراتية الموروثة من هو سرل لأن الكوجيتو الذي تقوم عليه يستند إلى أوهام الوعي المباشر فكان لابد من تطعيم هو سرل بالتأويلية التي تقوم على وجود معنيين مختلفين في كل نص أو رموز ثقافية، المعنى الظاهر والمعنى الخفي، القصد الذهني ولابد من إرجاع الرمزية وأبعادها ومظاهرها من مثل نور وظلمة وقذارة ونجاسة وسقوط إلى عريها الأصلي بنزع القناع الاسطوري عنها وكشف القوى التي تختبئ وراءها...»[(١)]، فهناك علاقة بل علاقات متحققة مع مفاهيم وجدت قديماً ومفاهيم ستوجد لها ألفاظ قد تتقارب وقد تتباعد وقد تنقل إلى معان متغايرة تماماً عما كانت لحظة انطلاقها إذ أصبحت توحي إلى عدة معان مختلفة تماماً نتيجة التطور الدلالي للفظة الواحدة، أو أنها خضعت للتأويل التراكمي التاريخي، وإنما اختلف العالم الإسلامي وانقسمت أفكاره في الداخل والخارج نتيجة قبول تأويلات في

---

(١) ريكو، صراع التأويلات، ص٣٢ من مقدمة المراجع، جورج زيناتي.

الإسلام واليهودية والمسيحية والديانات الأخرى المختلفة حول مفاهيم تبدو مشتركة في الأصول والفروع.

يذكر ريكور: «العلاقة الأولى والأكثر أصالة بين مفهوم التأويل وبين مفهوم الفهم، أنها تقوم بنقل المشكلات التقنية للتفسير إلى المشكلات الأكثر عموماً للمعنى واللغة»[1]، وهي من أهم الاشكاليات التي تعانى منها الثقافة الفكرية في العالم الإنساني فإن الصراع التأويلي عاش في الفكر الإنساني وحار المفكرين بين الظاهر الواضح والخفي المتعدد ولا يكاد ينفع كثيراً في حل المشكلات بالرجوع إلى اللغة أو المعنى، فلابد من الرجوع من هو متخصص في الفهم وفهم ذلك المفهوم وقد أشارت النصوص الدينية إلى المفاهيم المنزلة والمفاهيم المؤولة ولكنه أحال إلى مجموعة مهمة ممن له أهلية فهم المرتبتين الأولى والثانية بإحاطة تامة وهي معنى التخصص اليوم.

ونحى بعض المفكرين إلى الاعتباطية أو الاعتباطي وهو ما لا يقوم على أي مبرر، ولا يرتبط بأي سبب ويعتبر تفسير وجوده وعدم وجوده مضيعة للوقت والجهد وتستخدم هذه اللفظة لتصف علاقة الألفاظ بالمعاني خاصة، وكذلك طبيعة القواعد النحوية في اللعبة اللغوية فبما أن هدف النحو هو هدف اللغة فليس للقواعد أي ارتباط ولا أي مسؤولية تجاه الواقع[2].

ونحى بعضهم إلى القصدية في العلاقة بين الألفاظ والمعاني وكل

(١) المرجع نفسه، ص٣٥.

(٢) فتغنشتاين، لودفيل، تحقيقات فلسفية، تر: عبد الرزاق بنّور، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧م)، ص٤٨٣.

هذه الرؤى تلاحظ في بيان العلاقات وأن الواضع أو المتكلم هل هو اعتباطي أو قصدي في اختيار ألفاظه ومعانيه فمقدمات الحكمة تتكلم عن القصد وأن وجدت ألفاظ غير مقصودة ذات مناشئ متعددة في الاختيارات اللفظية ومعانيها حسب المقام والمقال.

وهذا الصراع اللغوي والرمز الحرفي محل تأمل وتأويل وهنا الحراك في نطاق المفاهيم والمصطلحات، وهو حالة من حالات الفكر الإنساني المتعدد ولكن نقل فكرة في حضارة إلى حضارة وثقافة أخرى لابد من وجود المناسبة وقبول المحل الجديد إذ أن المحل الجديد فيه أطر قد لا تخترق أو لا تسمح لكل جديد، وأن قابلية الجديد والقراءة الجديدة يمكن أن تنبع من الدال ولكن بتجديد الأداة أو ترميم الآلة للموافقة مع التطور المادي والفكري وهذا التطور اللغوي والتاريخي والاجتماعي والسياسي والمنظومة الدينية هي تطورات شئنا أم أبينا.

إن تعدد المفهوم شيء طبيعي فمثلاً (التاريخانية) فهي قد تكون عند بعض المفكرين لا نهائي الدلالات في حين أنها في المدلولات المنهجية تعنى النظر إلى الظواهر من خلال المحددات التاريخية الملموسة التي ولدتها والتاريخانية بهذا المعنى هي إلى حد كبير مضمون موقف العلوم الإنسانية التي تدرس الظواهر الإنسانية والاجتماعية في إطار سياقها الاجتماعي ومحدداتها التاريخية المختلفة الملموسة(١).

---

(١) محمد سبيلا، الثقافة العربية في القرن العشرين حصيلة أولية، إشراف: عبد الإله بلقزيز، بحث بعنوان: (التاريخانية في الفكر العربي، عبد الله العروي نموذجاً، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١م)، ص٥٣٦.

يذكر فرانك نوفو: «المصطلحات باعتبارها أسماء مفاهيم تثير توقعين اثنين يجب أن تكون الوحدات المصطلحية قابلة للانصهار في لفظيات، وقادرة على أن تكون لها وظائف تركيبية حتى وإن كان صرفها غير موافق لقواعد التكوين المعجمي الجيد»(١)، وقال في موضع آخر: «لقد خصت المصطلحية في سنوات ١٩٣٠ بمقاربة نظرية ساهمت في اعطائها نوعاً من الحضور العلمي من هذا المنظور يمكن تعريف الكلمة على أساس أنها تستعمل لتسمية مجال علمي يسعى إلى الاستقلال وذي طبيعة متعددة الاختصاصات ويعتبر تواصلاً لممارسة ما، وينزع مثلما تذكر به ماريا تيريزا كابري (١٩٩٢) إلى حل مشاكل الابلاغ ذي الطبيعة اللسانية المرتبطة بالعلاقة مصطلح/ مفهوم»(٢).

إن المصطلح/ المفهوم هما من أسس التكوينات المعرفية لصياغة جدوى بحثية تعتمد المصداقية في البحوث المعرفية وهو ما تريد تأسيسه على المستويات الأكاديمية الصارمة وعلى مستوى الدراسات الحرة ذات الصياغات الكبرى فإن انطلاق المشاريع التطورية تنبع من المستويين سواء في العالم الغربي أو العالم الآخر، وهنا كان الاختلاف في المفهوم والمصطلح في المستوى الأول على نحو الاختلاف الداخلي في البحوث والدراسات والرؤى والاختلاف يقع مع المستوى الآخر (التفكير الحر) ذات الطريقة الحرة في التدرجات

---

(١) فرانك نوفو، قاموس علوم اللغة، تر: صالح الماجري، مر: الطيب البكوش، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٢م)، ص٤٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٣١.

العلمية، ولكل أدلته وبراهينه ومناهجه مع اختلاف الأدوات المعرفية في المستوى الأول والمستوى الثاني، وقد يتفرد المستوى الأخير على المستوى الأكاديمي فتكون بحوثه ذات صبغة فريدة ومميزة في إنتاج المعرفة المؤسسة في مجالات سياسية أو اقتصادية أو نظريات اجتماعية أو تربوية أو غيرها ولكن لابد من إيجاد علاقات ترابطية رصينة للنهوض بالفكرة المشتركة وحل مشاكل الاختلاف المفهومي أو ما يسمى النزاع في الصغرى أو لا مشاحة في الاصطلاح، أن قراءة النماذج التراثية قراءة معاصرة أو بعبارة أدق قراءة المفاهيم المجتمعية الإسلامية مثلاً بقراءة جديدة وفق أدوات الحاضر والمعاصرة والابتعاد عن تاريخانية بعض الأحكام الفقهية فإن الفقه وأحكامه يجب أن تقرأ وفق التطور التاريخي لتستمر حركة الاجتهاد في إنتاج الإنسان المتطور الذي يبحث عن الجديد الفكري والجديد الحضاري والجديد التطبيقي في مجالات الحياة المتطورة مادياً.

قرأت حديثاً كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي) لمايكل كوك الذي ترجمه: رضوان السيد فقال في مقدمته: «إن كتاب الأستاذ كوك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي لا يمثل وحسب استقصاءً واسعاً وشاملاً للتجربة الإسلامية في رؤية العالم والدور والمسؤولية فيهما وعنهما من جانب المسلمين بل هو أيضاً قراءة عميقة ومستوعبة لروح الإسلام كله»[1].

(١) مايكل كوك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، تر: رضوان السيد وآخرون، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩م)، ص٢٢.

مثل هذه القراءات لتراث حضاري إسلامي لشيء يثير الرغبة كثيراً في مراجعة الأفكار التي جاءت بها الحضارة الإسلامية، فإن مايكل كوك قد استوعب خطورة البحث في هذه المسألة التي شغلت مساحات مهمة في النص القرآني وربما بعنوان أو عنوانات مهمة في النصوص الدينية الأخرى فإن الأنبياء والأئمة والصلحاء والحكماء في الفكر البشري ينهلون من منبع أصيل وشغلت مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مساحات مهمة في الحديث الشريف وقد وضع كوك خطة مستوعبة لفهم هذه المسألة في مختلف الاتجاهات الفكرية المختلفة بين المسلمين بالرجوع إلى مئات المصادر المطبوعة والمخطوطة[1] ومثل هذه الدراسات تنفع كثيراً وتحفز الباحث المسلم لاستيعاب تراثه والابتعاد عن الجزئية بالبحث عن المشتركات الجامعة أما يسمى بالدراسات المستوعبة لحقل من الحقول المعرفية بتحقيب تاريخ تطور المفاهيم والمصطلحات بالعمل النقدي الجاد المستمد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقراءته من أنه أسلوب من أساليب النقد الصالح والرد على هذا النقد هو نقد النقد وقد عرفته الحضارة الإسلامية بثقافتها العلمية فأنتجت ملايين المخطوطات في مختلف العلوم والتي أثرت كثيراً في قيام التداول الحضاري بين البشرية وهذا التداول من زمان ومكان إلى زمان ومكان آخر عبارة عن حركة انتقالية كالحركة الاقتصادية في مسألة العرض والطلب والإنتاج فقد يعيش العالم غريباً وسط الجهل فيرحل إلى طبيعته وأنسه وكذلك الحضارة والتقدم وأكثر التخلف

(١) كوك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٢١.

والانحطاط العلمي والفكري سببه الاستبداد السياسي إذ تحرص الدول على التفقير والتجهيل وهما المفهومان اللذان حكما العالم في بقع التخلف والجهل ولم يسلم منها مساحة من الكرة الأرضية فالحضارة والتقدم تحل محل الجهل والفقر وبالعكس في زمان ومكان وهكذا تكون الحركة كالسحاب المتحرك.

فانتقال العلوم الإسلامية إلى أوروبا لما حل الجهل والفقر في البلاد الإسلامية وحصل التحضر والتقدم بعد الاستكشافات الجغرافية والبحث عن التطور فقد توفرت العلوم من حضارة تدهورت ونبتت وانتقلت إلى زمان ومكان آخر نهضت أوربا وتخلفت الدول الإسلامية في كل شيء فكانت تلك العلوم وبالأخص العلوم الصرفة قد انتقلت إلى عالم العمل الفعلي فأدى لقيام النهضة الأوربية(١).

وللفهم الحضاري لأي أمة حضارية لابد من عرض المفاهيم وجذورها ومصطلحاتها فلها المدخلية العظمى في تحقيب تطورها وهنا تبدأ مثل هذه الدراسات في الأوساط الأكاديمية أكثر من الدراسات في الأوساط الحرة، وتتكفل بتلك الدراسات المراكز البحثية التي تعطي الدراسات النظرية أهمية كبرى عند التطبيقات الفعلية لمثل تلك الدراسات التي تنتجها المراكز البحثية التي تتطور نتيجة لعرض تلك الأبحاث على مراكز الجدوى ثم الجودة ثم المركز البحثي عن أي مشروع ماضي أو حالي أو مستقبلي.

---

(١) جورج صليبا، العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوربية، تر: محمود حداد، (بيروت: ناشرون، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، ص٣١٥.

إن غاية الابستيمولوجيا هي صياغة منهج تعليل المعارف، يجب على الابستيمولوجيا أن تعين كيف يمكن تعليل جزء مزعوم من المعرفة أي كيف يمكن البرهنة على أنها معرفة حقيقية؟، يتسم الاشتقاق الابستيمولوجي بضرورة تحليل المعرفة أي أن العبارة التي يجب أن تعلل وتشتق تشمل مفهوماً لا يظهر في المقدمات، وإذا أرادت أن تحلل مضامين المعرفة أن تحقق في مواضيع (مفاهيم) العلم (التجريبي) بفروعه المختلفة (العلوم الطبيعية والثقافية)[١]، وهذه إشارات مهمة لتحديد المفاهيم واستحداث مفاهيم جديدة كما رأى رودولف كارناب (ت١٩٧٠م): «إننا معنيون هنا بالأساس بمسائل الابستيمولوجيا أي بمسائل اختزال المعارف إلى بعضها البعض»[٢]، واستخراج المسارات المعرفية النقية لخدمة الموجود البشري برفض الأدلجة لفئة أو طائفة أو ملة دون أخرى فالفكر المعرفي فكر إنساني لا يتأطر ولا يؤدلج وهو البحث الابستيمولوجي المنشود أو الذي نريده بحق على ما وضعنا عليه تأسيسنا الكلي في المعرفة والبحث فيها للوصول إلى ثقافات إنسانية صالحة وهادفة.

إن الأخلاق المعرفية تستوجب النظر الكلي والعمل على الاستيعاب الفكري واعطاء المفاهيم حقها بالتحقيب الطبيعي والابتعاد عن الاسقاطات المفهومية على لحظة الانطلاقات الفعلية الناجزة، فكثيراً من المفاهيم قد تطورت وتغيرت في الاستعمالات

(١) رودولف كارناب، البناء المنطقي للعالم والمسائل الزائفة في الفلسفة، تر: يوسف تيس، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١١م)، ص٥٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٨.

الجدية وأصبحت مفاهيم أخرى بلباس معاني أخرى وأهملت المعاني التأسيسية الأولى. يقول روبير مارتان: «الألسن كلها تتطور ولا يبقى متحجراً إلاّ الألسن الميتة فهي أشياء حادثة لا أشياء ثابتة»[١]، وتبقى اللغة العربية محافظة على عربيتها في حين ماتت لغات كانت حية كاللاتينية وغيرها، وسبب بقاء مفاهيم اللغة وحروفها ومقاومتها للتنوع الذي ذكره روبير مارتان هو النص المدون للقرآن الكريم فهو أهم العوامل على بقاء نصاعة اللغة العربية ومقاومتها لكل التطورات التاريخية في عالم اللسانيات.

فقد حاول روبير مارتان اعتبار عربية القرآن كلاسيكية[٢]، وهو غير صحيح فإن اللغة العربية تظل حية غير ميتة بوجود النص الخالد الذي نقل إلينا وحي اللغة العربية ووجود كوامن القوى فيها وديمومتها في عرض المفاهيم واستحداث نفسها بنفسها بتحمل الألفاظ المعاني المتجددة.

وعندما نبحث في العلوم الإنسانية علينا أن لا ننسى أن المفاهيم هي جزء من التاريخ وهذا شأن عدد لا يحصى من الألفاظ والتراكيب وكلها محملة بالتاريخ فهي مواطن ذاكرة[٣].

وعلى هذا فالتاريخ الاجتماعي وتاريخ اللسان مرتبطان ارتباطاً

(١) روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، تر: عبد القادر المهيري، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧م)، ص١٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص١٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤٤.

لا يخل[١]، وعن طريق دراسة تلك المفاهيم والمصطلحات تتحدد البنية التاريخية ومجالات التطور اللساني لتلك المفاهيم ومعانيها وسعة الأفق أو ضيقه.

لقد تطور علم المصطلح كثيراً منذ وضع فوستير وكان في بداياته يعتمد على أسس لغوية ودلالية ثم ارتبط في العديد من العلوم والمجالات كعلوم الإدراك والفلسفة وعلم الاجتماع وعلوم اللغة والتواصل واللسانيات الاجتماعية والثقافية ودراسة الأجناس البشرية وعلم الدلالة والبراغماتية وغيرها من المجالات مما جعل منه علماً متداخل الاختصاصات بامتياز، وأدى إلى تطور نظرياته وإلى ظهور نظريات جديدة تهتم بجوانب أخرى من علم المصطلح كانت نظرية فوستير قد أهملتها أو لم تولها أهمية كافية[٢].

وللمصطلح جوانب متعددة ففي مجالاته الموضوعة تكونه في الأدب والقصة والشعر والمسرح والمجال الديني والفكري واللغوي والسياسي والنفسي[٣].

النظريات الجديدة في علم المصطلح:

أهم هذه النظريات[٤]:

١- **علم المصطلح الاجتماعي**: نشأ هذا العلم من الانتقادات

(١) المرجع نفسه، ص١٤٤.

(٢) ماري كلود لوم، علم المصطلح، ص٢٠ من مقدمة المترجمة.

(٣) امهاوش، قضايا المصطلح، ص٨٩.

(٤) للمزيد ينظر: ماري كلود لوم، علم المصطلح، مقدمة المترجمة، ص٢١ - ٢٣.

التي وجهت إلى النظرية العامة لعلم المصطلح فهو يعيد النظر في العلاقة الأحادية الاتجاه المتبادلة بين المصطلح والمفهوم وهي علاقة أطلقها فوستير لاقصاء الترادف وتعدد الدلالات من اللغة المتخصصة.

في حين كانت النظرية العامة لعلم المصطلح تعنى بالدرجة الأولى بالمفهوم، فإن علم المصطلح الاجتماعي يرتكز على دراسة المصطلحات في السياقات التواصلية والاجتماعية التي يظهر فيها المفهوم ويتم استعمال مصطلحه فيها.

٢- **علم المصطلح النصي**: يعود اسم المصطلح النصي إلى كونه لا ينفصل أبداً عن النص فالنصوص علمية كانت أم تقنية مكتوبة كانت أم شفوية، هي نقطة الانطلاق لدراسة المصطلحات ووصفها وتحليل عملها في المدونة.

٣- **علم المصطلح الاجتماعي المعرفي**: قامت ريتا تمرمان بوضع النظرية الاجتماعية المعرفية لعلم المصطلح وهي تعتبر أن اللغة تلعب دوراً أساسياً في فهم العالم، وأن المصطلح وحدةُ فَهم لها قيمة تواصلية سياقية أي أن لا معنى لها خارج سياق الكلام وأن معناها يختلف باختلاف السياقات ودرجة تخصص كل من المتكلم والمتلقي.

٤- **علم المصطلح الثقافي**: يعرف مارسيل ديكي - كيديري وهو أحد واضعي النظرية الثقافية لعلم المصطلح بأنه يهدف أساساً إلى تمكين كل المجتمعات من الحفاظ على ثقافتها وهويتها الخاصة

وعدم فقدانهما عند اكتسابها معارف جديدة، فهو يسمح للمجتمع بايجاد المصطلح الملائم للدلالة على مفهوم جديد، على أن يندرج هذا المصطلح ضمن ثقافة المجتمع وإدراكه الخاص للواقع.

٥- **علم المصطلح الدلالي**: إن المعنى في المقاربة الدلالية لعلم المصطلح، هو المحور الأساسي للتحليل، يقوم علم المصطلح الدلالي بدراسة المصطلح ومعناه من خلال علاقات المصطلح - ترادف، تضاد، اشتقاق... الخ - مع المصطلحات الأخرى التي تنتمي إلى المجال نفسه وهو يعتبر أن المصطلح يخضع لتغيرات من الممكن أن تكون ذات طبيعة دلالية وبالتالي فإنه يرتكز على النصوص والسياقات التي تظهر فيها المصطلحات من أجل دراسة مختلف تغيراتها الدلالية وفهمها بشكل أفضل ويظهر في هذا الاتجاه تأثير علم اللسانيات عموماً وعلم الدلالة خصوصاً(١).

ويمكن أن يضاف إلى ذلك جملة من علوم المصطلحات في فكرنا الإسلامي وعالمنا المعاصر، فمثلاً مصطلح القرآن ومفاهيمه أو مصطلحات التراث العربي والإسلامي أو مصطلحات الأحاديث أو مصطلح الحديث فهو من أقدم العلوم في الفكر الإسلامي أو مصطلحات النقد الحديثي بشكل عام والنقد الرجالي بشكل خاص وعلى هذا يمكن تشكيل علوم مصطلحية تبين العلاقة بين المفاهيم ومعانيها الاصطلاحية في كل من العلوم الإسلامية في الجامعات ومراكز الأبحاث العامة والخاصة.

---

(١) أخذت هذه التقسيمات من مقدمة مهمة للمترجمة: ريمة بركة، ص٢١ - ٢٣.

وعلى الجامعات العراقية أن تأخذ على عاتقها الدراسات المصطلحية وتخريج أساتذة في هذا التخصص الدقيق والقيام بتأسيس المركز الوطني للمصطلح ليساعد في تطوير مواد المصطلح ووضع المناهج والدراسات المستقبلية لهذه المادة المهمة جداً.

ولابد من اعتماد الأساس المصطلحي الديني واللغوي(١) ويحتل الاهتمام بالمفاهيم مركزاً هاماً في الأبحاث العلمية والاجتماعية والإنسانية لما لها من دور في ضبط التعامل في الحياة اليومية والعملية وفي بناء النظريات والمناهج والنماذج في الحياة العملية.

يتجلى هذا الاهتمام في مناحي الحياة الجامعية المتعددة وفي المعاجم والكتب المختصة، وأهم ما يركز عليه في مختلف هذه المجالات هو: التفرقة بين الكلمة، والفكرة، والمفهوم المجرد، والمفهوم، والمصطلح، وتنوع استعمالات المفاهيم في الفلسفة العامة، وفي الابستيمولوجية العامة والخاصة، وفي علم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي(٢)، ومنه تتضح الرؤية العلمية بعد تحديد عناصر المفهوم وبيان مصادره، ولكن ما هي مصادر المفهوم يذكر محمد مفتاح في كتابه (المفاهيم)، هل مصدرها العقل؟ أو الحدس؟ أو التجربة(٣)؟ ربما يمكن أن يقال أن مصادره متعددة كالعقل والحدس (الانقداحات الذهنية) وأيضاً التجريب العملي هو القادر على إيجاد مفاهيم مناسبة.

---

(١) امهاوش، قضايا المصطلح، ص١٧٣.

(٢) محمد مفتاح، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٠م)، ص٥.

(٣) المرجع نفسه، ص٨.

ثالثاً - المناهج

إن مفهوم المنهج في اللغة يفهم بوروده في النص القرآني قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1] فإن المنهج والمنهاج هو الطريق الواضح، ثم فرقوا بين الشرعة والمنهاج بأن الشرعة: ما ورد به القرآن والمنهاج: ما وردت به السنة[2]، ونهج الطريق ابانه وأوضحه ونهجه سلكه[3]، وانتجته: استبنته[4]، والجمع: المناهج فهنا مفردات النهج والمنهج والمنهاج[5]، هذه التعبيرات عن مفهوم لفظة المنهج وعلى نحو اطلاقه، أراد منه أهل اللغة بيان معنى اللفظة في النظر والعمل وقد صاغها بعد ذلك علماء الاصطلاح وربما اختلفوا في تعاريفها.

ويبدو أن مفهوم المنهج أكثر استعمالاً من غيره، وله وقع في الدراسات والبحوث لأنه يعبر عن الطريقة الفنية والعلمية في منهجة العلوم، ومنه منهج البحث المعرفي في مختلف العلوم فمثلاً البحث

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٢) أبو هلال العسكري، معجم الفروق، ص٢٩٨.

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، (دمشق: مطبعة الملاح، بلا)، ص٥٨٦.

(٤) الزمخشري، أساس البلاغة، ص٧٨٠.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٤٢٩هـ م٢، ص٥٢٨.

في علوم الحديث إذ كان للمحدثين مناهج متعددة في التعامل مع الحديث من ناحية الرواية والدراية والرجال وفقه الحديث، وللمحدثين منهج وطريق واضح في النقد وهو يظهر جلياً عند علماء الجرح والتعديل لرواة هذه الأحاديث بمصطلحات منهجية[1].

ولفظ المنهج في الاصطلاح له معنيان:

١- **المعنى العام** وهو: الوسيلة التي توصلنا إلى هدف محدد[2].

٢- **المعنى الخاص** وهو: طريقة الباحث في تحصيل المعرفة كما أنه المعيار لها من حيث حقيقة مطابقتها للقوانين الموضوعية التي تحكم الواقع عامة[3]، ويمكن ترجيح التعريف الثاني ولكن بعد تحديد المعرفة المبحوث عنها، فالمنهجية: هي الخطة التي يعتمدها علم ما في تحقيق أهدافه[4]، وهذه الخطة لابد من بيانها، وأنها عند ديكارت (ت١٦٥٠هـ): جملة قواعد مؤكدة تعصم مراعاتها ذهن الباحث من الوقوع في الخطأ، وتمكنه من بلوغ اليقين في جميع ما يستطيع معرفته دون أن يستنفد قواه في جهود ضائعة[5].

---

(١) كتابنا: الأسس المنهجية في نقد الأصول الرجالية، (بيروت: العارف للمطبوعات، ٢٠١٢م)، ص٣٧.

(٢) الشاذلي، عبد السلام، الأسس النظرية الحديثة في مناهج تاريخ الأدب العربي بمصر (١٨٧٠ - ١٩٤٨م)، (القاهرة: الهيأة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م)، ص١٢.

(٣) الشاذلي، الأسس النظرية، ص١٢؛ لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، الموسوعة الفلسفية، باشراف: روزنتال ويودين، ص٥٠٢.

(٤) أدرهم، فوزي كمال، (نحو منهج جديد للدراسات الإسلامية)، مجلة المنهاج، السنة السابعة، العدد ٢٧ الصادرة عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ص٧٢.

(٥) راوية عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٦م)، ص٧٧.

وهذه القواعد المنهجية عند ديكارت هي[١]:

١ - قاعدة البداهة (لا يكون فيها مجال للشك) (قاعدة اليقين).

٢- قاعدة التحليل والتقسيم (تجزئة المشكلة).

٣- قاعدة الترتيب (من السهل المعرفي ثم التدرج إلى أصل المعرفة).

٤ - قاعدة الاحصاء (الاحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة).

هذه القواعد وإن اعتاد عليها أصحاب الهندسة في براهينهم لكن يمكن للمعرفة الإنسانية متابعة ذلك[٢]، يرى ديكارت أن الفوضى الفكرية والاضطراب العلمي والصراع الديني والتخبط في متاهات الصدف والحظوظ دون خطة موضوعة ومنهج محدد هو من أسباب وقوع غالبية الناس في الخطأ[٣].

وفي نقده للفلسفات السابقة من أنها تفتقر إلى المنهج الدقيق الذي يصل إلى مواقف لها نصيب من الدقة والموضوعية[٤]، باستخدام العقل، فإن اختلاف الآراء لا ينشأ من أن بعضنا أعقل من البعض الآخر، وإنما ينشأ من أننا نوجه أفكارنا بطرق مختلفة، فلا يكفي أن يكون للمرء عقل بل المهم أن يحسن استخدامه فإن أكبر النفوس

(١) ديكارت، رينيه، مقال عن المنهج لأحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم، تر: محمود محمد الخضيري، مراجعة: محمد مصطفى حلمي، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م)، ص١٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣٢.

(٣) راوية عبد المنعم، ديكارت، ص٩٥.

(٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

لمستعدة لأكبر الرذائل مثل استعدادها لأكبر الفضائل[١]، وإن موافقة الكثرة ليست دليلاً ذا شأن على الحقائق التي يتعسر كشفها، فإنه أقرب إلى الاحتمال أن يجدها رجل واحد من أن تجدها أمة بأسرها[٢]، لقد ركزت النصوص القرآنية على الاستعمالات العقلية ومدى ثمار ذلك في عملية التأمل والنظر وهو ما يعني وضع التوجيه موضعه باستخدام العقل وتحديد الطريقة للوصول إلى الغايات والأهداف والنتائج، أن التطور في علم المناهج يعني ذلك تقنين الأسس النظرية للمعرفة العلمية، ولكن يتكامل المنهج العلمي يمكن الاستعانة بنتائج العلوم الإنسانية التاريخية والاجتماعية والنفسية[٣]، وكانت هناك عدة مناهج مصنفة حسب موضوعاتها منها[٤]:

١ـ المنهج الاستنباطي.

٢ـ المنهج التجريبي (عند ديكارت).

٣ـ المنهج الفلسفي (عند بيكون)[٥].

٤ـ المنهج الاستقرائي.

٥ـ المنهج التاريخي الاستردادي.

٦ـ المنهج النقلي.

---

(١) ديكارت، مقال، ص١١٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٠.

(٣) الشاذلي، الأسس النظرية، ص١٢.

(٤) امزيان، محمد محمد، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٢٩هـ)، ص٢٦٧.

(٥) هو: روجر بيكون (١٢١٤ ـ ١٢٩٢) مفكر انجليزي من مفكري العصور الوسطى ورائد للعلم التجريبي الحديث، لجنة من العلماء، الموسوعة الفلسفية، ص٩٩.

لقد تأرجحت العلوم الإنسانية بين دقة المنهج الرياضي وصدق المنهج التجريبي إلى إيجاد منهج خاص نظراً لتفرد الظاهرة الإنسانية فكان المنهج الظاهراتي الذي يتضمن مناهج جانبية مثل الاستبطان وتحليل الخطاب ورصد الواقع ووصف التجارب الحية[١]، ولكل منهج قواعده الخاصة به وهي جوانب أساسية في عملية المناهج، فبوبر[٢] يرى أن البحث العلمي لا نهاية له. والنظريات العلمية ذات قابلية للتكذيب والثقة غير مؤكدة في النتائج[٣].

يبدو من هذه القواعد نفي الأشياء الثابتة والحكم بالتغير والمتغيرات على الدوام، والخامس والسادس أكثر المناهج اعتماداً في الدراسات التاريخية بالرغم من تداخل بعض العلوم الاجتماعية والنفسية في مثل هذه الدراسات وتقييد التاريخي بالاستردادي يعني: أن المنهج يقوم على أساس استرداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار ووثائق هي بمثابة شهادات كالنقل المتواتر الدال على الحقائق كحقيقة النبوة مثلاً، أما المنهج النقلي الذي تميزت به الحضارة الإسلامية، هذا المنهج لا يكتفي بضبط المواصفات العقلية وهي التي تضمن صحة المنقول بل يضع ضوابطاً أخرى لا تقل أهمية عن

(١) حسن حنفي وآخرون، هل النقد وقف على الحضارة الغربية؟ فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، أعمال الندوة الخامسة عشرة التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م)، ص١٦.

(٢) هو: كارل بوبر (١٩٠٢ - ١٩٩٤) أستاذ المنطق ومناهج العلوم بجامعة لندن ويعد واحداً من أعظم فلاسفة العلم المعاصرين، الجالي، منهج البحث، ص١٨٣.

(٣) الجالي، زكريا منشاوي وآخرون، فلسفة النقد بحث بعنوان (منهج البحث النقدي عند كارل بوبر)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م)، ص١٩٨.

المواصفات العقلية، إذ يركز على الجوانب السلوكية والأخلاقية في الباحث، هذا المنهج لابد أن يرافقه المنهج العقلي، لأن النقل قد ترك مساحة للعقل في التفكير والتأمل والنظر، فلابد من إيجاد موازنة معرفية بين المنقولات والمعقولات سمح بها الفكر الإسلامي عند بعض المدارس وأكد عليها النص القرآني باستخدام العقل في الادراكات، ولكن العقل يستعين بالنقل باعتباره ارشادياً في كثير من الأحيان كما ورد ذلك في اشارات النص القرآني.

إن الجمع بين علوم متداخلة أساسية وقريبة يتوسل بها للخروج بنتائج أكثر قرباً للحقيقة وباعتماد مناهج أخرى مثل المنهج الوصفي لبيان شكل وصورة ومحتوى ومضامين تلك المصادر الأولية المراد نقدها أو إيجاد الأسس المنهجية المتبعة في التقويم ثم عرض تلك الأسس المنهجية على المناهج المتطورة لمعرفة أسسها العلمية.

يعد المنهج في الدراسات كافة: هو الوسيط الضروري الذي لا يستغنى عنه في انجاز اغراض العلم أو النظرية بغية الوصول إلى نتائج مقبولة وغايته إضفاء العلمية والموضوعية على الحكم الذي يتوصل إليه(١).

ظهرت المنهجيات المعاصرة في تجدد مستمرة في حين ظل المنهج الأكاديمي في العالم الإسلامي غير متجدد ويحكمه القدم والعقم وهو ما نراه في مناهج العلوم الإنسانية في جامعاتنا، إذ

---

(١) ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٩م)، ص١٧.

ترفض الاقتراحات لتطويره، وقد اقترحت إدخال مادة (المصطلح) في كل الأقسام العلمية والإنسانية وذكرت ذلك في دراسة أولية ولم تلق تلك الدراسة أي اعتبار بل لاقت التجاهل وعدم الجدية، ومنه أن الطالب الجامعي لا يعرف مصطلحات العلم الذي يدرسه إلى أن يتخرج من الجامعة.

تطورت المنهجيات الغربية كثيراً وترجمت بحوثهم إلى العربية وقرأنا ذلك بتمعن فتكلموا عن عقلانية المنهج، فقد رفضت العقلانية المتفتحة وخصوصاً العقلانية النقدية البوبرية أن يكون المنهج الاستقرائي هو المعبر عن المنهج الحقيقي لسير البحث العلمي مستبدلة إياه بالمنهج الفرضي الاستنباطي، المنهج المنسجم تماماً مع أسس هذه العقلانية، ورفض باشلار من أن يكون هناك منهج وحيد صالح للبحث العلمي وعد أن المنهج العلمي يتخذ طبيعته المتغيرة من طبيعة العقل العلمي الذي هو الآخر متغير البنية، وحتى دراسة الأسس المنطقية للمعرفة لا تحيط بجوهر الدراسات الابستيمولوجية لتلك المعرفة[١].

وتعد هذه الآراء لباشلار مقدمة للدخول في المنهج الذي اختطه لنفسه وهو المنهج السايكولوجي الذي جعله منهجاً فلسفياً، والقول بذلك خوفاً من الخلط بين المنهج الفلسفي ومنهج البحث العلمي كما عرضه بوبر على سبيل المثال: على شكل منهج فرضي استنباطي ثلاثي المراحل ولو أن بوبر اعتبره منهجاً جامعاً علمياً ومعرفياً

(١) كريم موسى، فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، (بيروت: الفارابي، ٢٠١٢م)، ص٢١٢.

وفلسفياً في الوقت نفسه، إلاّ أن باشلار أراد بمنهجه السايكولوجي تقديم منهج لفلسفة العلم تستطيع بواسطته الوصول إلى الكيفية التي تكون بها العقل العلمي والعوامل الذاتية المؤثرة فيه[١].

والمنهج الفرضي الاستنباطي والذي عده اينشتاين أكثر المناهج ملاءمته لأهداف الفيزياء فوفقاً له تصاغ المبادئ النظرية، الفروض والحدوس أولاً ومن ثم تستخرج منها النتائج التجريبية بشكل استنباطي[٢].

ومن كل هذا تظهر بوضوح أهمية الدراسة المنهجية للعلوم الإنسانية والعلمية ويمكن استعراض مجموعة من هذه المناهج على نحو الاجمال فإن لكل منهج تعريف يحتاجه من يختص به فلكي نُذكّر بهذه المناهج نعدّد بعضها:

١ ـ المنهج الأثري (النقلي).

٢ـ المنهج الفلسفي.

٣ـ المنهج العلمي.

٤ ـ المنهج اللغوي.

٥ ـ المنهج الإنساني.

٦ـ المنهج الاقتصادي.

٧ـ المنهج الوضعي.

---

(١) كريم موسى، فلسفة العلم، ص٢١٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٢١٦.

٨- المنهج الوصفي.

٩- المنهج السلوكي.

١٠- المنهج الثقافي.

١١- المنهج التاريخي.

١٢- المنهج البنيوي.

١٣- المنهج الفينومينولوجي (الظاهراتي).

١٤- المنهج التقليدي.

١٥- المنهج الحديث.

١٦- المنهج الرسمي.

١٧- المنهج الواقعي.

١٨- المنهج الخفي.

١٩- المنهج النقدي.

٢٠- المنهج التحليلي.

٢١- المنهج التفسيري.

٢٢- المنهج التاريخي.

٢٣- المنهج الاجتماعي.

٢٤- المنهج السياسي.

٢٥- المنهج التأويلي.

٢٦- المنهج التقابلي.

٢٧- المنهج الإسلامي.

٢٨- المنهج الماركسي.

٢٩- المنهج الحداثوي وما بعد الحداثة.

٣٠- المنهج النقدي عند المحدثين في الفكر الإسلامي.

٣١- المنهج الخطابي.

٣٢- المنهج السردي.

٣٣- المنهج الدلالي.

٣٤- المنهج الاشاري.

٣٥- المنهج الموضوعي.

٣٦- المنهج الثقافي.

٣٧- المنهج الحضاري.

٣٨- المنهج الاصطلاحي.

٣٩- المنهج الاجتهادي.

٤٠- المنهج التجديدي.

٤١- المنهج التأسيسي.

٤٢- المنهج التأصيلي.

٤٣- المنهج التاريخاني.

٤٤- المنهج الجدلي.

٤٥- المنهج الاستقرائي.

٤٦- المنهج الاستردادي.

٤٧- المنهج المنطقي.

٤٨- المنهج الذوقي.

٤٩- المنهج الرياضي.

٥٠- المنهج الابستيمولوجي.

٥١- المنهج الحدسي.

٥٢- المنهج التوليدي.

٥٣- المنهج التأليفي.

٥٤- منهج التدبر والاستبطان.

٥٥- المنهج النفسي.

٥٦- المنهج عبر الثقافي (cross - Cultural) (المقارنات الثقافية بين الشعوب).

٥٧- المنهج الانثربولوجي.

٥٨- المنهج الايديولوجي.

٥٩- المنهج الانسني.

٦٠- المنهج الوجداني.

المنهج أن يتضمن:[١]

١- دراسة مجموعة نظريات أو مصطلحات أو أفكار.

٢- دراسة مقارنة للطرق المختلفة والمقاربات البحثية.

٣- نقد للطرق المستخدمة.

(١) حسيبة، مصطفى، المعجم الفلسفي، (عمان: دار اسامة، ٢٠٠٨م)، ص٣٣٧.

وهناك مناهج جديدة سنذكرها بعد الاسترسال في الكلام عن بعض الآراء في تطوير المناهج كتطوير منهج في قراءة الثقافة كفعل حي حسب مقولة كليفورد قيرتز وهو: سعي التاريخانية الجديدة التي تخلت عن مفهومات نقدية مركزية مثل المحاكاة والوهم والتخييل وفعل الترميز، وأن التاريخانية الجديدة هي ممارسة نقدية وكنظرية في القراءة والتأويل من حيث أنها سعي إلى أرخنة النصوص (historicity of texts) وتنصيص التاريخ (textuality of history)، والنص هنا علامة ومؤشر أسهمت التاريخانية الجديدة في كشفه حينما أخذت شبكة العلاقات النصوصية/ التاريخية في اعتبارها النظري بما أنها خطاب مزدوج[١]، وربما تسعى التاريخانية كمنهج لرفض المطلق وتحديد الأفكار في ظروفها وظهورها وبذلك تنتفي الافكار الدينية عن اطلاقها يصح ذلك في نقد الفقه التاريخي أو الافتراضي وبعض الأحكام لكن هناك رأس المال العلمي حتى لا تظهر الظاهرة المتغيرة على الدوام بلا ثوابت في هذه الحياة.

تدرس الابستيمولوجيا الشروط العلمية والتاريخية لإنتاج العلوم مرتكزة على الموضوع تارة وعلى المنهج تارة أخرى ومن أهم مفاهيمها: التفكير التراجعي، القطيعة الابستيمولوجية، العقبة الابستيمولوجية، التنقيح الابستيمولوجي... الخ[٢].

---

(١) الغذامي، عبد الله، النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية العربية، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م)، ص٤٣.

(٢) طلعت الأخرس، الابستيمولوجيا: نحو فلسفة جديدة للعلوم، مجلة فلسفات معاصرة مجلة فصلية، العدد التاسع، ٢٠١٠، ص٤١.

إن التطور المعرفي الهائل في الفكر الإنساني يدعو الباحث إلى التواصلية وتحديد الموقف المناسب منه أما الوقوف ضده وهو مما ينكره العقل والنقل في الفكر الإسلامي لأن الفكر لا حدود له بل البحث عنه معرفة وعلم يدعو إليها النقل قبل العقل، ومنه استمد الفلاسفة والعلماء وأخذوا فمنذ الترجمة والنقل عن الحضارات المختلفة اليونانية والفارسية والهندية والصينية وغيرها لم يتحسس المسلم من مثل هذه الثقافات التي نقلها ونقدها واستثمرها في التطور الفكري لتراثه وعلومه، فظهرت المناهج الجديدة التي حركت الفكر الإسلامي ودخلت المناهج المنطقية التي طوّرت الكثير من العلوم وكان المنهج الارسطي والافلاطوني من أهم المناهج الفكرية التي تفاعل معها الفكر الإسلامي وأخذ منها ما يناسبه ونقد ما لا يناسبه، واليوم بعد تخلف الفكر عند المسلمين نشأت الأفكار الغربية وتطورت في شتى المجالات واستحدثت المناهج الحديثة والمعاصرة ودخلت الجامعات والمؤسسات المختلفة في كل أنحاء العالم فكان الإنتاج التقني على مستوى الأشياء المادية قد دخلت البيوت الإسلامية التي كانت نتاج مناهج فكرية سبقتها فكان حري بنا أن نضع اللمسات الفكرية الإسلامية من بين تلك الأفكار وأن بعض الأفكار رفعت كشعارات سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية في كل مؤسسات المجتمع كالديمقراطية والايديولوجية وصناديق الاقتراع والدولة العلمانية وغيرها من المصطلحات والمفاهيم الغربية التي لها مقاربات في فكرنا الإسلامي أو هي من بناء العقلاء والسيرة العقلائية في المنظومة الأصولية والفكرية الإسلامية، كان

المفكرون من أهل الإسلام قد حفظوا المنظومة الفكرية لحضارات غابرة في عهد أوج العطاء العلمي ثم ترجمت هذه المنظومة إلى حضارة ناهضة في أوروبا وتطور المنتوج وزيد عليه فرجع إلينا لكي نهضم ما فيه ونطوّر أدواته من المحراثية المستهلكة إلى التقنية الحديثة وإصلاحها باعتماد المناهج المختلطة كما فعل أسلافنا من العلماء والمفكرين.

إن المنهج العقلي يستدعي النهوض والتحرر نحو البناء الحضاري الواجب إذ أن مقومات النهضة في العراق حاكمة على التخلف فالإرث الحضاري والعمق العلمي مفقود من ثقافة الجيل المعاصر، فالمنهج الصحيح والعلمي يقتضي التعريف بثقافة هذا الارث للأجيال لكي تقوم بنهضة علمية وتنموية في مختلف المجالات في العراق وتطوير النماذج المعرفية لكي تنال حقوقها من ممارسة التطور والتقدم في المعرفة، ومما يساعد اليوم على التطور والانجاز المعرفي في شتى المجالات إنشاء المراكز البحثية في المعرفة العلمية والإنسانية بما يخدم المجتمع وتألقه وبالخصوص العمل على بنية ثقافية جديدة ذات ارتباطات معرفية تنأى عن الاحادية المقيتة والاقصائية والتطرفية وتعمل على الصالح العام دون الصالح الخاص الذي لا يجب الغاءه وتحجيمه بل أن الصالح العام فوقه وأهم منه في حالة التزاحم وهي ثقافة إسلامية صرفة بعيداً عن النفعية التي تجذرت في الواقع العالمي فنفت المفاهيم والقيم العالية من الايثار وتقديم الآخر على النفس والتفاني وغيرها مما هو مركوز في النص التأسيسي للفكر الإسلامي فأوجد قطيعة مع هذا النص، فأصبح النص في عالم الاستغراب.

فلكي نطور الفكر لابد من دراسات وأبحاث ابستيمولوجية فإنها اليوم دهاء الفلسفة في عودتها الحتمية إلى الساحة الفكرية فهي نظرية المعرفة أو علم المناهج[١].

فالمناهج المطورة هي علامة النتاجات العلمية والمعرفية لذلك يقال: أن طبيعة المعرفة الجديدة دائرية أي توالدية[٢].

ففي المناهج التربوية والتعليمية التي يجب أن تطبق اتخاذ المنهج النموذجي أي اختيار - بعد البحث - النماذج في الإدارة والقيادة والكوادر التدريسية والطلبة والمنهج، فنحن والعالم في أزمة النماذج المجردة أو الابتعاد عن النفعية المطلقة، فاختيار النماذج في مفاصل العملية التعليمية كلها هو النجاح.

وابتكر البرت باندورا (A.Bandura) نظريته المعرفية الاجتماعية في عالم التعلم (نظرية التعلم الاجتماعي) وكان منهجه التعلم بالمشاهدة لسلوكيات مختلفة بمشاهدة نماذج تظهر الاكتسابات السلوكية أثر ذلك[٣].

لهذه النظريات أسس قديمة فنجد نظرية التأثر السلوكي بعظيم من العظماء بمنهج التقليد للغير وهو واضح عند الأطفال في بداية نشأتهم فهم يقلدون عدة سلوكيات يشاهدونها سلبية كانت أو

(١) طلعت الأخرس، الابستيمولوجيا، مجلة فلسفات، ص٤٢.

(٢) المرجع نفسه، والمخطط من المؤلف (الباحث)، ص٤٢.

(٣) لورانس أ. برافين، علم الشخصية، تر: عبد الحليم محمود السيد وأيمن محمد عامر ومحمد يحيى الرخاوي، مراجعة: عبد الحليم محمود السيد، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م)، ج١، ص٢٠٦.

إيجابية ويمكن استغلال مثل تلك القابليات بابراز الجوانب القيمية لتعويدهم ولتكون التنشئة لهم وفق هذه المناهج التقليدية ثم بعد الترسيخ لمثل مجموعة من المفاهيم المراد ايصالها للأجيال الناشئة أن تتطور إلى مناهج عمل أساسية في ثقافة الطفل الناجح ويمكن اكتشاف مواهب الميولات التقليدية التي تتدخل فيها النوازع النفسية للأطفال فهم بكل براءة يميلون للذي يحبونه بشكل عفوي.

والنظرية الإسلامية تركز على الجانب المنهاجي في التربية والتعليم وقيادة الأمة، لذلك كانت الروايات والآيات تؤكد على جانب التهذيب النفسي وهو يبدأ بزرع الأسرة في الأبناء والبنات قضية التهذيب النفسي لما له من الأثر العظيم في صقل الشخصية وحفظها من مكاره الأيام وهناك برامج مهمة ومناهج عميقة في صنع الإنسان المسلم لو طبقت تلك البرامج على المستوى الأعلى أي الأهداف الكبرى لمؤسسة الدولة كما في التربية والتعليم العالي، فيمكن النهوض بمستوى التعليم الممزوج بالعلم والأخلاق، وتبدأ من رياض الاطفال في زرع القيم المعرفية والأخلاقية بلا انفصال فالمعرفة قيم أخلاقية كما أقر ذلك الأديان الإلهية والبشرية وأقر ذلك كل عاقل.

وهذا من جملة أهداف مستقبلية منها:

١ ـ الهدف المعرفي الموضوعي.

٢ ـ الأهداف المنهجية.

وبعد استعراض جملة من المناهج المختلفة يمكن تجديد وتطوير

وإصلاح التعليم الأساس كنقطة انطلاق نحو المعرفة الصحيحة التي تعتمد على المنهجية العلمية وأصالة التقدم التقني في ضوء البحث المعرفي بخطواته التي اعتمد عليها في صياغة هذا الكتاب، فانا نهدف إلى التحويل العملي في البحوث المعرفية أي تحويل النظرية إلى تطبيق فعلي لها جدواها في الواقع العملي وهو يتطلب البحث عن نماذج معرفية تقود المعرفة إلى التقدم الدائم باعتماد المناهج الفعّالة وترك المناهج المستهلكة ومواكبة التطورات العالمية واحدث المناهج المعاصرة وفي شتى المجالات المعرفية.

إن لكل منهج أثره الواضح ومساره ومجالاته، وقد تتداخل المناهج في العلوم المجاورة، فقد ظهرت عدة مدارس قد تعتمد على فكرة التداخل وقد ترفضها لاختلافات في كل منهج، ولكن الدراسات الشاملة قد تعتمد على مناهج مختلفة ولا تتقيّد بمنهج واحد، ويبدو أن المناهج إذا تداخلت تعطي الثمرات العلمية الأكثر أو أن البحث المعرفي يكون أكثر استيعاباً من غيره.

فقد يدخل علم النفس في أغلب الدراسات حتى العلمية منها فضلاً عن دخوله في الدراسات الإنسانية وعلم الأخلاق يدخل في كل العلوم ويتأكد أكثر في الدراسات الطبية والدينية.

الانثربولوجيا تقرر تجانس المجتمع بتقطيع طبيعي أو اصطناعي كما تتميز بمنهج فريد يستند على الحميمية والاقتراب المعمق الذي يحمل بعداً كيفياً، وهذا ما انعكس على أدوات وتقنيات البحث المستعملة حيث يميل الانثربولوجي إلى استخدام الملاحظة

بالمشاركة، الإقامة الطويلة المقابلة المعمقة قصة الحياة ويصبح الباحث أيضاً فاعلاً وملاحظاً في آن واحد، أما علم الاجتماع فيميل أكثر إلى المناهج الكمية كما لا يقصي أي فئة بل يعتمد على مبدأ العينة ولكن يصل إلى مستوى التعميم يعتمد أكثر على الاستمارة لأنها تمس أكبر قدر ممكن من المبحوثين[١].

يضطر الباحث إلى اختيار منهج بحث معين يتماشى وطبيعة الموضوع المراد دراسته ومع القناعات المنهجية للباحث ثم يختار من بين الأدوات المنهجية (تقدير البحث) أساليب جمع البيانات التي يراها مناسبة وفعّالة في هذا الموضوع بالذات[٢].

وهناك المناهج الوجدانية وهي التصديق القلبي لأدلة معينة يمكن أن ينال خطوة في المناهج البحثية ذات المعرفة الخالصة لأن قوى نفسية وشعور خاص قد تتوافق عليه الآراء وتخرج بنتائج رائعة وهو كمنهج يصلح في العلوم الإنسانية أكثر من العلوم الطبيعية.

وقد يصل الباحث الممارس في حقل معرفي ولمدة طويلة إلى نتائج مذهلة وذلك للإطلاع على الأسرار العجيبة نتيجة هذه الممارسة المنهجية كما حصل لنيوتن وجيمس واط وغيرهم ممن أكثروا التجارب والممارسات ولا فرق بين العلوم الإنسانية والطبيعية في هذه الممارسة المتكررة بلا ملل ولا سأم ومنه يحصل الاكتشاف والابتكار فإن طول الممارسة والتفكير في أمر واحد وحقل علمي

(١) للمزيد ينظر: المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة، ج١، ص٣٨٦.
(٢) المعجم الموسوعي، ص٣٩٠.

متخصص يحدث الأسرار العظيمة والاكتشافات الرائعة في الحضارة الإنسانية.

وأكثر ما تحصل الاكتشافات العلمية والفكرية نتيجة التراكمات في تخصص واحد أو الاهتمام البالغ بحقل معرفي واحد، فإن المناهج العديدة هي التي تكشف عن أسرار الحقول المعرفية والفكرية النظرية والعملية.

وعقم استعمال المنهج الواحد ولذلك فاعتماد ذلك يسبب الأضرار الكبيرة والتسلطية الفكرية وظهرت ما يسمى البين - مناهجية فأصبحت تعددية المناهج والبين مناهجية ضرورة نظرية وعملية[١].

وأحدث الابتكارات المعرفية ما يسمى بالعبر - مناهجية أو تحرير المعرفة[٢]، وهي الفكر المتحكم بالمناهج وليس العكس بل هي سلطة الإنسان على انساقه وتحكّمه بمصير فكره[٣].

هذا المنهج يدعو للتكامل المعرفي بتحرير المعرفة وحصر المنهجية التي توسع الخلاف والتعصب والانطلاق نحو التكامل العبر - مناهجي.

---

(١) إدريس هاني، المعرفة والاعتقاد مقاربة عبر - مناهجية في انساق الفكر الإسلامي، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٢م)، ص٤٦.

(٢) للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ص٥٢ وما بعدها.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٧.

رابعاً - التطبيقات

وطبق: المطابقة من الأسماء المتضايفة وهو أن تجعل الشيء فوق آخر بقدره، ثم يستعمل الطباق في الشيء الذي يكون فوق الآخر تارة وفيما يوافق غيره تارة كسائر الأشياء الموضوعة لمعنيين، وطابقته على كذا وتطابوا وأطبقوا عليه[1]، إذا اجتمعوا عليه متوافقين غير متخالفين[2]، وحقيقة التطبيق: إصابة الطبق وهو موصل ما بين العظمين[3]، هذا هو المعنى اللغوي لطبق في معاجمنا اللغوية والتي يؤكد وجود الشيء وما يوافقه وهذا ينعكس على أغلب الحقول المعرفية الإنسانية والعلمية الصرفة أو ربما يمكن القول عن وجود النظريات ومجالاتها العملية والتي توافقها وتحقق أسسها بصورة عملية وبعبارة أخرى هي الوجه العملي لشيء.

وطبق تطبيقاً، فطبق القاعدة: اثبت صحتها بالمسائل العلمية، وطبق القانون: انفَذَ أحكَامه[4].

ومن هذه التعاريف المفهومية للمفردة تظهر أن مجال التطبيق

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٣١٣.

(٢) الفيومي، المصباح المنير، ج٢، ص٥٠٤.

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة، ص٤٥٦.

(٤) قاموس المعاني، موقع الكتروني (www.almaany.com).

خطوة أساسية ثانية، فالنظرية وتطبيقاتها والقاعدة واثباتها والمسألة وبيانها بالصورة أو إيجاد صورة أو تصور لها، وقد ينفصل الجزء الأول عن الثاني المتوقع له، وقد لا ينفصل أبداً ويمكن أن يقال أن النظرية واقعية أو تجريبية أو أنها خيالية محلقة على الواقع أو ميتافيزيقية لا فائدة منها في أرض الواقع أو أنها نظرية في اطارها فقط ولا ترقى للتطبيق الواقعي بالاستحالة أو أنها مثالية بعيدة عن الواقع هذا في التصورات الفكرية في عالم النظر، أما في العوالم التجريبية الحسية فهي اليقين العلمي أو الحسي كما يقولون أصحاب هذا المذهب، وقد يدخل نوع التدريب لفكرة ما في مجال التطبيق لها في كل مجالات الفكر العلمي والثقافي أو ربما التفكير حالة من أسس التطبيق أو إيجاد صورة من صور التطبيق الأدبي أو الفلسفي أو التاريخي أو الطبي أو كافة العلوم الأخرى، فالتفكير حالة لها الأسبقية في تكوين النظرية ومجالاتها التطبيقية والممارسة والتكرار لها هي محاولة لايجاد التطبيق الكامل أو النسبي، وقد يعترض على التطبيق الكامل بعد ظهور النظرية النسبية فتقرر نسبية الأشياء حتى في التجريبيات اليقينية لتقدم العلم وعدم انتهاء مادته ومصادره وتعدد طرق تطبيقاته، فالعلم الرياضي له عدة تطبيقات تؤدي بمسألة واحدة إلى نتيجة واحدة، ومعرفة طرق الرواية الحديثية في الموروث الإسلامي تعزز المصدر الشارح للنص النازل.

وفي ضوء أهمية التطبيق تعد أهم المجالات التطبيقية هي الممارسة لكل نظرية في هذا الوجود وإلاّ تبقى معطلة أو مقفلة

بحدود النظرية وهذا ينطبق على كل مجالات الحياة العامة والعلمية والفكرية والعملية، فالإطار النظري يبقى محاصراً إذا لم يتمكن من اختراق التطبيق الفعلي العقلي أو النقلي أو التجريبي الحسي أو الملاحظاتي للنظائر والاشباه وغيرها من الممارسة الهامة لأي من الأطر النظرية والفكرية، ومن هنا نفهم أهمية النظام التطبيقي والاعلاء من شأنه ويمكن تقسيم النظام التطبيقي إلى:

أولاً: التطبيق الايجابي:

وهو المراد من كل نظرية أو فكرة أو نظام لكي يراه وتراه المجاميع الإنسانية يستمد الفعلية من أسس النظرية ويجسدها على أرض الواقع بكل حذافيرها وبلا رتوش أو تراكمات تخرجها من أصلها أو تكوينها إلاّ بما يوافق أو يقارب بلا تعارض هذا في الفكر الإنساني، أما الفكر العلمي فقد تنقلب الممارسة الفعلية إلى خطر محدق في الفضاء المختبري أو الحقل التجريبي غير المتبع لخطواتها ومعادلاتها الكيميائية والفيزيائية.

وللتطبيق أهمية بالغة في فهم معطى التعلق والأقربية من ذلك الفكر المتبع أو النظرية الخاصة أو الفكرة العلمية أو ايديولوجية معينة أو مسارات فنية أو إعلامية أو غيرها.

والبحث المعرفي أيضاً يقال له معرفي في ضوء تطبيقاته أو البحث العقلي أو السياسي أو تمثيل لدين معين، فيقال إسلامي لمن يطبق تعاليم الإسلام الحقة ويقال اسلاموي لمن لا يطبق إلاّ الشكل الخارجي وأن ادعى المطابقة ولكنها تخالف أسس النظرية

الإسلامية، فالتطبيق الايجابي إذاً يكشف عن الإطار العملي والهوية الفكرية والنتائج المعبرة لأصل الفكرة مهما كانت هذه الفكرة.

ويمكن كشف ذلك بالمنهج الأقربي وهو من مناهج القرآن في معرفة القرب والبعد واعطاء ربما نسبة حسب عناصر القرب وعناصر البعد عن النظرية أو مسائلها وأيديولوجيتها، إذ يمكن قياس التطبيقات وعدمها من أعمال مثل هذا المنهج فالمسلم يمكن تقويمه في تطبيقاته لأسس النظرية الإسلامية في الحياة والفكر، وهذا المنهج يخضع الجميع له فيكشف القرب والبعد، وكما يمكن استخدامه في الفكر الإنساني النظري والعملي يمكن استخدامه في المختبر العملي وقياس مدى نجاحه أو اخفاقه.

وعلى هذا فالفكر التطبيقي الايجابي يخضع إلى تطبيق اغلب مفاصل النظرية لتصبح ملكة في العمل كالمسلم المؤمن برسالته قولاً وفعلاً أو الأستاذ المؤمن برسالته التعليمية قولاً وفعلاً أو كالمجدد أو المفكر أو العالم الطبيعي أو السياسي الجاد أو غيرها من التطبيقات التي تنهي فعل الشعارات فقط، ويمكن أن تقرر الموافقة مع النظرية ولو كانت نسبية بدرجة (الموافقة بين النظرية والتطبيق).

ثانياً: التطبيق السلبي.

الخطأ في التطبيق عن عمد أو جهل لا يؤدي إلى نتائج فعلية صحيحة أو الاظهار الفعلي لشكل وأسس النظرية، وربما يمكن القول أن الشكلية هو من نوع التطبيقات السلبية المؤثرة، ربما ترفع الشعارات في الانتخابات للوصول إلى الأهداف ولا يحقق ولا يطبق

ما تم رفعه وهي من مساوئ الديمقراطية أي تحقيق الوصول من دون تحقيق نسب التطبيق أو فشل بعض التجارب العملية أو المختبرية لعدم فهم خطوات النظرية والخطأ أو عدم الاستيعاب يحقق التطبيق السلبي غير الناجح أو غير الموافق للنظرية المعروضة.

قد تحمل الفكرة ويعتقد بها على المستوى النظري، ولكن هناك اشكالية كبرى في صعوبة التطبيق وهذه الصعوبة قد تكون ذاتية أو اجتماعية أو سياسية تعيق تطبيقها، فتبقى الفكرة في إطار النظرية بلا تطبيق فيمكن أن يقال لها سلبية لأن المعوقات قد تكون مادية ظاهرية ولكن لا تكون ولا تعيق المعتقد من أداء ذلك في القلب.

وأكثر ما يحصل في السلبية وكيفية الانفصال والقطيعة مع النظرية بالعمل بما يخالفها على أرض الواقع، فينعكس على أصل النظرية ويحصل التشويه بل التشوهات الكثيرة كما يحصل للفكر السياسي في حالة الوصول للسلطة فيحصل الانفصال أو الاستلاب الفكري بين النظرية المحمولة والتطبيق الفعلي فيعجز عما رفعه من شعارات فيعمل وفق القوة الضاغطة إلى عكس ما رفعه فيقع في التسقيط السياسي له ولفكرته كما هو جارٍ في عصرنا اليوم.

ويحصل التطبيق السلبي في مختلف النظريات السياسية والاقتصادية والعلمية والتربوية والاجتماعية وغيرها من الافكار والنظريات المعروضة.

ومن نتائج التطبيقات السلبية الفشل السياسي والفكري والعلمي للأصول النظرية، فلا يتحقق العدل والنمو والتطور والإبداع.

تحرص المؤسسات والهيئات على أن تتجاوز السلبية في عملها لكي تحقق أهدافها وغاياتها، ونحن نرى أن أغلب الاخفاقات يتحقق في اشكالية التطبيق وهي اشكالية كبرى ناتجة من الاخفاقات الفكرية أو العلمية على مستوى الواقع فالواقع التعليمي في العراق يحتاج في مشروعه أن يبحث عن الجدوى ولا يبحث عن الجودة فقط من فتح أقسام جديدة مع قلة الكوادر التدريسية أو عدم كفايتها من الناحية التحتية والفوقية أو قبول الاعداد غير النظامية في القاعدة الدراسية غير النظامية أيضاً، وغياب المنهج العلمي ومواكبة التطورات العلمية في المناهج الإنسانية والعلمية، أو تهوين الدرس الإنساني على حساب تهويل الدرس العلمي، فتكون المجالات التطبيقية فاشلة وسلبية من قبل القائمين على مستوى التعليم والتربية في العراق، فإن من التطبيق السلبي الذي يؤدي إلى الفشل وعدم الجدوى والجودة هو رفع بعض الحقول المعرفية على بعض مما يشعر صاحب الحقل المعرفي بالاقصاء والتهميش الذي ينعكس بدوره على الإنتاج المعرفي وضعفه وانهياره، مع أن الإنتاج السياسي والقانوني ونظم الحياة في الفقه لها الدور الفعال في صياغة الدولة وقيامها فيكون بهذه النظرة السلبية مما ينهي التطبيقات الفكرية والعملية على الواقع الاجتماعي للدولة والدول مع عدم نكران دور القطاعات العلمية في الجامعات والمؤسسات التعليمية للعلوم الصرفة.

ثالثاً: التطبيق المزدوج:

ومن التطبيقات السلبية التطبيق المتداخل بين أسس النظرية والمدخولات الغريبة عليها فتكون النتائج غير صحيحة في بعض

خطواتها وهو ينطبق في الفكر الإنساني والعلمي وهو أكثر خطورة في الفكر الإنساني من العلمي لأن نتائج خطورة التطبيق في الفكر السياسي مثلاً هو قتل أمة أو شعب أو مجتمع أما في الخطأ في التطبيق العلمي المزدوج قتل أفراد، ومنه التأكيد والحرص على التطبيق الايجابي أكثر منه في الإنساني وإن كان العلمي له ميزة تطورية وتقنية وتنموية إلاّ أنه متحكم فيه من قبل السياسي والديني لأنه يحدد خطواته العملية وفق ايديولوجية معينة وغير مسموح له تطبيقات سلبية أو متداخلة بنظر الايديولوجيا السياسية أو الدينية أو الفكرية أو المنهج الواحد الصارم بخلاف العبر المناهجية التي أكدها المفكر إدريس هاني في بعض كتبه.

والتطبيق المزدوج يولّد الشخصية المزدوجة لانقسام النفس الإنسانية إلى وجهين في التعامل والتعاطي مع الوقائع الخارجية وتنعكس كآثار سلبية من جانب وإيجابية من جانب آخر، وهذه الازدواجية في التطبيق تخلق المعايير التي قد تتوافق مع أصل المنظومة في بعض الجوانب وتختلف معها في جوانب أخرى.

ومما يعانيه واقعنا في العراق الفصل بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية الصرفة، فالمسؤول ينظر نظرة مزدوجة في التطبيق فيمنح أولوية للعلوم على حساب العلوم الإنسانية باعتبارها ثانوية، ولم يخلق التوازن بينهما بل الأولى الاهتمام بالعلوم الإنسانية لرسم البحث في تقدم البلاد وازدهارها وفق المشاريع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي ترسم سياسة البلد التقنية والعلمية بل

أن الدراسات الإنسانية خطوة أولية في ترقي البحوث العلمية فضلاً عن رسم سياسة البلد.

يذكر الدكتور رضا داوري اردكاني في كتابه (نحن ووعورة طريق الحداثة): «علينا أن نفعّل دراسات وبحوث العلوم الإنسانية ونزيد من اهتمامنا بها لاعتبارين:

الأول: ما لم نقف على وضع المجتمع ونظامه والمقتضيات العملية للحياة، فلن نستطيع أن نمتلك آراء منتجة ومفيدة على صعيد التعليم والتكنولوجيا، كما أن التعرف على المقتضيات والامكانات لا يتحقق إلاّ عن طريق التأمل التاريخي وفي ظل البحوث الأساسية للعلوم الإنسانية.

الثاني: إذا كانت البحوث في مجال الهندسة والعلوم الدقيقة بحوثاً حقيقية - أي ضمن حدود العلم - فستكون نافعة لأصحاب التكنولوجيا المتطورة، غير أن مفكري العلوم الإنسانية والاجتماعية في كل بلد وشعب، يفكرون في الوضع الذي هم فيه عادة، وبوسع بحوثهم أن تكون ملبية لحاجات بلدهم بل وتؤدي أيضاً إلى تعزيز مكانته العلمية والثقافية أيضاً»[1].

وفي ضوء هذا الكلام تظهر بجلاء أهمية البحوث الإنسانية العقلية والفلسفية والاقتصادية والسياسية والقانونية والتاريخية والجغرافية والأدبية وغيرها التي تؤسس لانطلاقات علمية وتنموية في مختلف

(١) رضا داوري اردكاني، نحن ووعورة طريق الحداثة، تعريف: عبد الرحمن العلوي، (بيروت: دار الهادي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص٣٢٨.

المجالات الهندسية والطبية والزراعية والجيلوجية والتقنية المتطورة والمستدامة وبحوث الطاقة وغيرها من المجالات العلمية، ومن هذا تتحدد العلاقة بين البحث الإنساني والبحث العلمي أحدهما يكمل الآخر بل يفوق عليه بالسعة والشمول البحث الإنساني لأنه يتفاعل مع تطور الإنسان على أرض الواقع من حيث تهيئة الظروف والامكانات للنمو والتطور وفق السلطة السياسية كعلم والسلطة التعليمية كادارة للطاقات العلمية، والتطبيق المزدوج قد يكون في:

١- في الفكر.

٢- في العمل.

ففي الفكر يخلق الخلل والاضطراب وضياع الأسس المبتناة، أما في العمل فيكون غير دقيق للتبرير في العمل السيء كما في التبرير الفكري في تبني فكرة ما.

ويمكن رفع الازدواجية في الفكر والعمل باعتماد الفكر الحر العقلي والمعرفة الحرة، وايجاد العلاقة بين الفكر والعمل فيرى الفلاسفة مثل أرسطو: أن العمل هو خادم الفكر وترى الأصولية الإسلامية بأن الفكر هو خادم للعمل(١).

ومن أهم سمات التفكير العلمي كما ذكرها فؤاد زكريا في كتابه (التفكير العلمي) هي كما يأتي(٢):

---

(١) أحمد الموصللي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م)، ص٥٥.

(٢) فؤاد زكريا، التفكير العلمي، (القاهرة: مكتبة مصر، بلا)، ص١٥.

١- التراكمية.

٢- التنظيم.

٣- البحث عن الأسباب.

٤- الشمولية واليقين.

٥- الدقة والتجريد.

الممارسة والتعامل التكراري:

تعتمد كل نظرية وكل فكر في مرحلة التجسيد على الممارسة والتمرن عليها ثم التكرار الاستعمالي في المجالات الإنسانية والعلمية بما فيها النظرية الأخلاقية في العالم لأن الممارسة هي ظهور حسي يندهش الإنسان بمشاهدته، فهو اثبت من القراءة عن حس العين كالقراءة في نظريات، فكل قول يمكن أن يكون له في التطبيق نصيب وخصوصاً النظريات الكبرى في العالم البشري كالنظريات الدينية المتجسدة بأعمال الدين المعتقد به، بل أن فكرة الدين نابعة من انشغال الذهن والروح بقوى معتقدة وخارقة ومتعالية ومقدسة، ومنه جاءت حرية المعتقد للجوانية الغائرة في العمق، ولكل دين ممارسات تطبيقية نابعة من أسس تكوينية قد يصاب بمرور الزمن والحقب التاريخية بتراكمات واضافات تطبيقية غريبة عنه ومصطنعة من اتباعه لشدة حبهم أو تعمدهم الإضافة أو صعود الفكرة في عالم السياسة لحاجتها التفريع في مجالات الحياة.

لقد أصيبت كل الأديان بما فيها الإسلام بالتراكمات والاضافات الغريبة عن قيم التأسيس، وضعت بعمد أو من غير عمد شوهت

معالمه وصورته الأولى، فبدأ بعد مئات السنين صورة أخرى عن الأصل التأسيسي لتأويلات وتراكمات الزمان والتوظيفات السياسية الضيقة نتيجة للرغبات والشهرة والشرعية والتمكن والبيان الاجتماعي والتزييف الديني للناس وغيرها من العوامل المؤثرة في تبادل الصور المشوهة، وهو ما يعانيه المجتمع العربي والإسلامي من تجربة الإسلام السياسي كما يدعون ذلك فقد وضعوه في أضيق الامكنة ليحكموا باسمه.

فيكون في ضوء ذلك خطرين:

الأول: داخلي.

الثاني: خارجي.

الأول: أن الفكر التطبيقي للإسلام قد عانى الازدواجية في المعايير أو الصياغات الحديثة والغريبة عن الإسلام في أصله، تمثل ذلك في أغلب دعاة الإسلام السياسي عند المسلمين اليوم.

والثاني: تطورات الافكار والمفاهيم العلمانية والحركات القومية والماركسية والمعاصرة من حركة الاستعمار الغربي والسيطرة على الموارد الطبيعية والبشرية المناهضة لبناء دول متطورة ومتحضرة ومستقلة.

والفكر الإسلامي ربما انقسم في رؤيته المعرفية والسياسية إلى مفاهيم أصولية واصطلاحية، وتأسست أثر ذلك الحركات السياسية المعاصرة والحديثة، والحق فلا هذا ولا ذاك، لأن الفكر الإسلامي المؤسس يبين لنا رفض التشدد في التطبيق حتى على الرسول ﷺ في

مسألة كثرة العبادة الشاقة، أو الوضوء المتشدد أو الغسل المتشدد، بل أوجب علينا اليسر والسهولة والواقع الاجتماعي والاقتصادي وكل أشكال السماحة واليسر في التطبيقات لتخفيف الأعباء ورفض اثقال ثقيلة تعيق حركة الإنسان، أو لكرامة هذا الإنسان المخاطب بقيادة الكون والطبيعة الأرضية نحو الاعمار الكوني، فليس المتدين من يتشدد في دينه، بل أن المتدين من يكسب غيره بوسائل الفضيلة المطبقة والفعل الصامت.

ويبدو أن القصور النظري يؤدي إلى قصور في وضع الحلول العملية لتخطي أي نظام أو استبداله أو تعديله[١]، فالمنظر الإسلامي منذ صعود التيارات القومية والماركسية في العالم العربي والإسلامي، كان ينظّر بمعزل عن التطبيق العملي فهو لم يفكر لحظة واحدة في الفكر التطبيقي لفكره النظري ولم يدرس ذلك أبداً، وقد ظهر صحة هذا الكلام اليوم بعد تسلم الحركات الإسلامية السياسية زمام المبادرة وانهيار القوميات فجأة، فقد وجد القادة التنظير المثالي (التنظير الأصولي) ولم يعرفوا استحالة التطبيق وفق المتغيرات العالمية فتخبطوا وفشلوا لأن افكارهم كانت ضيقة غير مستوعبة لاختلاف افكار شعوبهم فنهضت الشعوب مرة أخرى كما نهضت ضد القومية والماركسية نهضت ضد الإسلامية لأن ما طرحوه من العدل المنشود كان سراباً[٢].

---

(١) الموصللي، موسوعة الحركات الإسلامية، ص٨٣.

(٢) الموصللي، موسوعة الحركات الإسلامية، ص٨٤.

ويمكن تشخيص عدة ممارسات نظرية في الأساس تنزل إلى مستوى التطبيق فقد تنجح وقد تفشل فشلاً ذريعاً ينهي النظرية من الأساس أما لأنها لا توافق الواقع أو تتعالى عليه أو هي دون المستوى المطلوب وتظهر مثل هذه التطبيقات في المشاريع السياسية والشعارات المؤدلجة غير القابلة للتطبيق أو النظريات التي تقع فريسة الخطأ في التطبيق وخاصة في البحث العلمي وتؤدي إلى نتائج مهلكة كما في المجالات الطبية والمجالات الهندسية في معالجة المرضى وبناء الدور والعمارات كما يحصل في التنظير الإنساني وتزييف الحقائق للناس في برامج الانتخابات مثلاً.

وسنأخذ نماذج من البحوث المعرفية الإنسانية على مستوى قابلية التطبيق الاجتماعي والاقتصادي وربما نورد بعض النماذج العلمية في نجاح العملية التطبيقية أو فشلها وقصورها، ومن هذه النماذج:

١ - الفكر الإسلامي المعاصر.

يعاني الفكر الإسلامي المعاصر من تداعيات خطيرة وتيارات فكرية مضادة من ظهور الأفكار والمفاهيم والمصطلحات المعاصرة، فما هو موقف الفكر الإسلامي من التطور والحداثة في الواقع العالمي؟.

هنا لابد من رفع جدلية بين التراث والأصالة أو المعاصرة والأصالة، وكيف يمكن مواكبة التراث الأصولي والفقهي وعلم الكلام للتطورات الفكرية في العالم والتي بدأت تدخل بيوت المسلمين ومؤسساتهم العلمية والدينية؟ ولا يمكن لنا أن نستخدم

الحداثة في الماديات والأشياء من دون أن نستخدمها في الأفكار والرؤى في تغيير الواقع الاجتماعي والعلمي وما يوافق التنمية والنمو في شتى المجالات الإنسانية والعلمية، حاول الفكر الإسلامي المعاصر إعطاء صور متعددة لمفكرين معاصرين يبحثون عن مشاريع نهضوية تحقق الأصالة وتتلائم مع الواقع المتغير.

المفكرون الغربيون قد اهتموا بالفكر الإسلامي وأثاروا عدة استفهامات حول الإسلام كالذي قاله راينهارت شولسته وهو أستاذ الإسلاميات في الجامعات الألمانية، هل توجد حداثة إسلامية؟[1]، هل يمكن للعالم الإسلامي اليوم أن يفكر بالإحياء والتجديد والحداثة، والتغيير والتحول في شتى مجالات الحياة لكي يصل إلى ما وصل إليه العالم الغربي المتطور من دون أن يتبنى مشاريعه التطورية المنبعثة من عالمه وفكره؟!، أن الفكر الإسلامي المعاصر يمكن له الوصول إلى نظريات معرفية قابلة للتطبيق والتطوير والتحول لوجود مقومات النهضة الشاملة من المال والاقتصاد والتراث العظيم للقرآن الكريم الذي يعطي الصور الحقيقية لعالم التطور والمستقبل وآليات هذا التطور الإنساني بأروع القيم والأفكار الاجتماعية التي تغيّر الواقع وتحولاته منذ عصر آدم عليه السلام إلى عصرنا اليوم وهو يهتم بالمجتمع من دون استثناء منه لفرد (التعاملات الإنسانية) وبناء الدولة العادلة وكل دولة بنظره تخرج عن العدالة فهي دولة الطاغوت والفرعونية، وهو يميّز بين الدولتين أو المجتمعين (المجتمع الفرعوني الذي

(١) زكي الميلاد، الإسلام والحداثة، من صدمة الحداثة إلى البحث عن حداثة إسلامية، (بيروت: الانتشار العربي، ٢٠١٠م)، ص٩١.

يخلقه ويصنعه الفراعنة، والمجتمع العادل الذي يخلقه أهل العدل من الأنبياء والأوصياء والصلحاء).

ويركز القرآن الكريم على المجتمع الذي تتوافر فيه العدالة ضمن ثقافة البناء والإعمار والجزاء والثواب هو المجتمع المثالي المراد تحقيقه في عالم الوجود الدنيوي والسعي إليه يحتاج إلى التحرر والعمل الفكري النظري والتطبيقي العملي، والابتعاد عن المشاريع الخارجية الجاهزة لأنها لا تنبت في غير بيئتها أبداً.

فالإشكالية الكبرى في الفكر الإسلامي المعاصر تعدد نوعية الخطاب والمتعارض أحياناً، فبعضه يعارض أنظمة الفكر الغربي ويصفه بالكفر حتى في استعمال مفاهيمه ومصطلحاته، وبعضه الآخر ينبهر بوسائل وأنظمة وتقنيات الغرب ويحاول اللحاق بحضارتهم حتى وإن خالفت أصول دينه، والأخير يتجه نحو السلبية والتردد والخوف[1]، وربما نجح الإعلام الغربي في التغلب على الإعلام الإسلامي الذي غاب عنه الوعي وغرق في الميتافيزيقيا لعدم قدرته على احياء الواقع وتغييره نحو التقدم والبناء، أو أنه غرق في الجزئيات المميتة التي قطعت أوصال المسلمين، فالفضاء السجالي بين قنوات فضائية حول المسائل التاريخية وعقمها من أن تؤدي إلى رقي وتطور المجتمع والسعي إلى سعادته في الحياة الدنيا والآخرة كما دعا إليها النص القرآني.

---

(١) أحمد طه، تردى الفكر الإسلامي المعاصر بين الأصولية المستبدة والعلمانية المستفزة، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠١٠م)، ص٩.

إن غياب الواقعية وطغيان خطاب التكفير والاقصاء والتهميش قطع أوصال المجتمع العربي والإسلامي نحو الطائفية والآراء الضيقة فانفصمت عرى العلاقات الاجتماعية والأخوة الدينية في ضوء هذا الخطاب الأصولي السلفي عند الشيعة والسنة، فالخطاب العقلاني هو الخطاب النابع من عقلانية القرآن الكريم وهو يدعو الناس إلى التفكر والتأمل والتعقل قبل العمل والانطلاق نحو العمل حتى يكون العمل والاختيارات في ضوء الدعوة القرآنية الواعية لا التقليد الأعمى لخطابات إسلاموية بعيدة عن واقع القرآن ودعوته.

هذا الخطاب الاسلاموي كثيراً ما يؤثر على شريحة الشباب المستغل لأهداف وأغراض أيديولوجية تنطلي على هذه الشريحة لقلة خبرتهم في الحياة أو انفعالهم يمثل هذه الخطابات ذات التأثيرات النفسية لأنها تمس المشاعر ومن ثم الحماس لها، ويظهر ذلك في الشباب السعودي ودول الخليج وتونس وغيرها من دول الإسلام بنسب قد ترتفع وقد تنخفض حسب ازدياد الخطابات وكثرة الداعين لها إلى تكوين جماعات الموت والمتاجرة بهذه الأرواح بفكرة الجهاد وطلب الشهادة.

وهذا الخطاب له تأثير شديد إذ أدى إلى نتائج فضيعة في التجاوزات على النصوص القرآنية وفعل وقول وتقرير النبي ﷺ نفسه، نبي الرحمة والشفقة والإنسانية والعدالة والاستقامة وكل أفعال الخير لأعدائه قبل أصحابه وهذا الخطاب أدى إلى تشويه صورة الإسلام بشكل يصعب إعادة الخطاب الإسلامي الأصيل بعدما صدرت مثل هذه التطبيقات الخارجية، فأصبحنا في أكبر الأزمات وفقدان الثقة من حولنا وفي عالمنا

الداخلي وأكثر منه في العالم الخارجي، فالريبة والخوف من الإسلام أقلق العالم اليوم، وسعت الدوائر الخفية إلى إظهاره بشكله البشع من خلال تطبيقات أهله بصورة مباشرة فاعتمدت الخطابات والتطبيقات الفعلية للجماعات المسلحة والناطقة بعدما انتشرت الصورة وانتشر الصوت الذي عم العالم بضغطة زر أو مجرد تفكير أو لمس ترى ما ترى وكل شيء تحب أن تراه فاختلطت الأصوات والصور وعمت الفوضى وانهدم كل شيء إلاّ أن نرجع إلى بناء ذاتنا وهويتنا وخطابنا الإسلامي القرآني إلى حرمة الافتراق وواجب الاعتصام وشعار الأمة الواحدة (الاتحاد الإسلامي).

فنحن بحاجة إلى فكر إسلامي معاصر يبني المفاهيم والمصطلحات المشتركة بين الرؤى الفكرية المختلفة والانطلاق نحو الفكر والخطاب الموحد الذي يخدم الجميع لأنه لا يمكن ادعاء الحقيقة المطلقة لجماعة دون أخرى وتناسي المشتركات التي تهدف إلى الخير والمحبة وعلو الإسلام ورفعته.

وهذه الثقافة تحيى بالمعرفة والعقل وبعدهما النظام التطبيقي وفقهما، وكثيراً ما نرى أن التحديث والتجديد يظهر من خطابات علماء الدين المتنورين بالواقع التغييري للمجتمع كخطابات السيد هبة الدين الشهرستاني ومحمد الحسين كاشف الغطاء والسيد محمد باقر الصدر والسيد محمد الصدر وهذه خطابات كتغيير الواقع الاجتماعي ودفعه نحو التحرر ورفع حالة السكون والاستصحابية.

كما أن حركة الحداثة التي أصبحت مشعل المثقفين اليوم والأكثر

انتشاراً عندهم، كان مما يميزها أنها خرجت في أغلبها من بين رجال الدين المسيحي أنفسهم[١]، مما دعا البابا بيوس العاشر بإدانة أدعياء الحداثة وعبر عنها بأنها ملتقى كل الهرطقات[٢].

وللخطاب الإسلامي النظري عدة تطبيقات منها:

١. الحوار مع الآخر.

ويتفرع منه:

أ – رفض الانعزالية.

ب – المبادرة للاتحادات الدولية لتعزيز الحوار الحضاري[٣].

ويمكن أن يعزز الفكر الإسلامي المعاصر ثقافة الخطاب الإنساني الجمعي مع الاحتفاظ بالهوية الإسلامية وهوية المواطنة بعد تحديد الحدود بين البلدان الإسلامية، وتكون هذه الثقافة عملية في المؤتمرات والندوات الداخلية والخارجية والبحث عمن يملك مثل هذه الثقافة لتعزيز بث الخطاب والحوار الثقافي الإسلامي المعاصر الذي يعتمد الموضوعية واحترام الآخر ونشر القيم الإسلامية عن طريق السلوك الفعلي لا الكلامي الخطابي والغرائزي.

٢- حقوق الإنسان.

أنكر بعض أن مفهوم حقوق الإنسان من ضمن الخطابات

(١) أحمد طه، تردى الفكر الإسلامي، ص٤٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٥.

(٣) للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ص١٠١.

الإسلامية حتى ولو بالمقاربة، في حين أن التأسيس القرآني قد أوجد هذه النظرية بل أن الفقه الإسلامي الاجتهادي حرص على جملة من حقوق الإنسان في الاقتصاد والاختيارات العقلية متداولة بين الفقهاء بل هو من الموروث الفقهي وكقواعد فقهية في احترام الإنسان كالتصرف في أمواله المنقولة وغير المنقولة واعتمد الإرادة الباطنة وشرع قوانينه عليها في حين أن القانون الوضعي اعتمد الإرادة الظاهرة وإن كانت تزويراً أو تلفيقاً، وكذلك لأن الورقة الفلانية قد ختمت بختمه فالأرض له أو الدار أو الدكان، وهو مبرر كاف للاستحواذ والتصرف وهذا ما لا يقره الشرع لأنه يحرم الإنسان من حقه الواقعي، وهناك أمثلة تطبيقية تحترم إرادة الإنسان وحقوقه مثل قاعدة الإنسان مسلط على ماله، والضمانات والكفالات، والعقود والايفاء بها وغيرها ممن يمكن أن يؤسس لنظرية حقوق الإنسان الرائعة في النص النازل والنص الشارح له، وسلوك وطريقة النبي وأهله صلوات الله عليهم أجمعين.

ويعزز القرآن الكريم من ثقافة الصور الجمالية لتقليل غلواء التشدد والصحراوية في التعرف التي نجدها اليوم في الحوارات بين المسلمين أو مع غيرهم والأحكام الصادرة من طرف إلى طرف آخر مسلم أو غير مسلم، كلها لا تعبر عن النظرية الإسلامية بأي صلة، فقد وردت الخطابات الإسلامية وهي تتحدث عن الجمال وصورته يوم القيامة كالقصور والغلمان والحور وغيرها من المفاهيم لتصورها في غاية الجمال ليتمتع الإنسان بما أعد الله تعالى في الآخرة وهي ثقافة روحية لها انعكاستها وتمظهراتها في العالم الوجودي الدنيوي

ولو فسرنا ذلك واشعنا التفسير العصري للقرآن ونزوع الإسلام كفكر للبحث في هذه الاوجه، ممن أشاعها النبي ﷺ في عصر البداوة المتنشيء ولكن لن نتخلص إلى اليوم من قيم تلك البداوة وتقاليدها في تصرفاتنا وسلوكنا، ولو أشعنا ذلك لكان حال المسلمين أفضل من حالتها الصحراوية في التعامل والسلوك والحوار فنرى ذلك في برامج الحوارات في القنوات الفضائية اليوم وما يحصل فيها من حوارات بائسة لا تمثل أي اتجاه في الإسلام.

٢- الفكر السياسي الإسلامي بين الأدلجة والتشدد والفشل.

حاول البعض نفي النظرية السياسية في الفكر الإسلامي أو تكوين نظرية في الحكم، وتبدو هذه النظرية غير كاملة وغير منطقية بالنظر إلى أسس الإسلام وتكويناته النصية النظرية والتطبيقية، وحاول بعضهم من الذهاب إلى آراء شتى للمقاربة مع النظرية الغربية في الدولة المدنية والعلمانية والديمقراطية في الشورى، وهي يمكن أن تكون كذلك في مشروع الدولة الحديثة ولا بأس بذلك كما سعت إلى ذلك بعض الدول مثل إيران كأول جمهورية إسلامية في العالم الحديث والمعاصر، ولو رجعنا إلى أن النظام الإسلامي يؤكد على النص في التعيين أي تعيين الحاكم بشرط قبول الأمة له، والمعيّن هو الأفضل مع عدم الجواز لتقديم المفضول لأنه لا يخدم الأمة مثلما يخدمها المعين ضمن شروط الرسالة وهي نظرية عقلية تشرع اختيار الاصلح بالانتماء للشريعة الإسلامية في نظرتها السياسية أو نظرية البحث عن الأصلح والأفضل والأعدل سواء كان المعصوم أو غيره، وما اختيار الأئمة عليهم السلام إلى أمثلة تطبيقية لهداية البشر نحو الاختيار

الشخصي أو تطور آليات الاختيار، فقد جاء الجميع بعد مقتل عثمان إلى الإمام عليه السلام ولن يرضوا بغيره بعدما ردهم وطلب منهم التماس غيره، ولكن الأمة قد اختارت الأصلح مباشرة أما الآن فقد تكون الآليات لاختيار الأصلح لا تتم إلاّ عن طريق صناديق خاصة، ويمكن أن تكون خالية من حركات وتجمعات وأحزاب، الأصلح هو الذي يحقق الاختيار وهو الرئيس الذي يكون نظامه المنطلق من الإسلام في إدارة الدولة وما يحقق التطور والتقدم ولا يتعارض مع أسس العدالة الاجتماعية التي عرضته الأحزاب والتجمعات والتيارات تمسكاً بالشكل والصورة وبعيدة عن المضمون والمحتوى، والحاكم يراجع المجتمع صاحب حق الاختيار في التنصيب والعزل وله نظائر في عزل عثمان وتنصيب الإمام علي عليه السلام.

إن مشكلة الأحزاب والتيارات والكتل والتجمعات الكثيرة جداً قد ثبت فشلها في الحكم الديمقراطي المعاصر لظهور الفساد والمحاصصة والعمل الضيق ومحاولة إفشال الآخر وهكذا دواليك حتى لا يتحقق شيء وهو ما جربناه في العراق بعدما فقدت هوية الإنسان وغابت المواطنة، المفهوم الجامع لكل عراقي سكن في هذا البلد واكتسب جنسيته فهذه الثقافة تكاد تكون معدومة، فالضياع وعدم التقدم سببه كل ذلك، وأيضاً عدم توحيد القوانين والتشدد في التشظي بين القانون القبلي والديني والوضعي، فالعراقي يعيش بين هذه المطالب في حالة الدعوى والمخاصمة فعدم التوحيد معناه توزع الشخصية إلى شخصيات متلونة، يؤدي إلى نزاع لا ينتهي أو أنه يصدر أكثر من حكم على فرد واحد في قضية واحدة.

والفكر السياسي بحاجة اليوم إلى المعرفة الجادة بواقع الحياة وتحسين العلاقة بين السياسي وإرادته والمواطن وحقوقه، أن التسويف في حقوق المواطنين أوجد فجوة كبيرة بل أسس إلى كراهة السياسي والدولة من قبل المواطنين فلا يحصل التعاون لشعور المواطن بأن السياسي يحمي أهدافه وأغراضه الشخصية فقط رغم أن المواطنين هم الذين انتخبوه ولكن لا فائدة من هذه العملية الديمقراطية، فالعراق منذ ٢٠٠٣ إلى يومنا هذا ٢٠١٣ لم يحقق النظام الديمقراطي ما يريده المواطن ووصل إلى شعور بأن النظام السياسي في العراق قد فشل فعلاً في التنمية وتطور هذا البلد وعوامل الفشل كثيرة جداً لا يسع هذا المختصر بيانه.

٣- البحث المعرفي العلمي وإشكالية التطبيق.

إن البحث المعرفي هو الذي يحقق التقدم والازدهار في المجال الإنساني أو العلمي على أن تأخذ الدولة بنظر الاعتبار قيمة البحث المعرفي للشروع في تطبيقه وإن خالف البرنامج السياسي، لأن المعرفة أعلى من السياسة بل حاكمة عليها في المجال التطبيقي لأنها تجعل همّ التطور والتقدم أمامها، ومنه ظهر التقدم العلمي والتقني للمعسكر الأوروبي والغربي وبناء حضارة التقنية.

تؤكد الدراسات الإسلامية أن الإسلام يوثق ويركز العلاقة بين الدين والعلم ويحفز المعرفة كأصل في معرفة الوجود والموجود ولم يقف حجر عثرة أمام البحث المعرفي النظري والعملي، وأعطى الإسلام بفكره أهمية لمثل هذه البحوث في تطوير المجتمعات

الإسلامية، وكم من البحوث طبقت في الغرب مع أنها قد تكونت في بلدان إسلامية وجامعات عربية أو من دول العالم الثالث كما هو تصنيفهم.

فإن العناية في البحث المعرفي أصبحت نادرة في جامعاتنا وذلك لانشغال مثل هذه الجامعات بقضية الإدارة والشكلية في البيان والبناء ساهم في ابتعاد الباحث المعرفي عن الأجواء الجامعية اليوم، إذ لا يجد الباحث المعرفي لانجازه واقتراحاته أي صدى في هذه الأجواء مع الأسف فضلاً عن تطبيقه والاهتمام بتنفيذه على أرض الواقع.

هناك إشكالية كبرى في تطوير مناهج البحث المعرفي في الجامعات العراقية ودعم مثل هذه المشاريع على المستوى الإنساني والعلمي والتي تقدم خدمة معرفية في مجال تطور عجلة التعليم الجامعي، والتعليم الجامعي يجب أن يتعاون مع التعليم الابتدائي والثانوي لرفع شريحة الشباب الجامعي علمياً وعملياً، ومحاولة الانفكاك عن الرؤية الغربية التي تركز بأن الحداثة هي شأن غربي والتقليد هو شأن شرقي[1]، ولكن هذا الكلام غير صحيح فإن الحضارة الإسلامية قد تميزت بمميزات جديرة بالبحث المعرفي بل هي خصيصة مهمة تقارب مفهوم الحداثة وتطوراتها، فإن مفهوم الاجتهاد الذي ذكره حسن حنفي وزكي الميلاد هو حداثة داخلية يمكن أن تنهض بالأمة، ولكنه بحاجة إلى حفريات معرفية جديدة لاستظهار مدلولاته والكشف عن مكوناته العميقة والمتجددة

(١) زكي الميلاد، الإسلام والحداثة، ص١٠٥.

والفاعلة وبوصفه المفهوم الذي يقارب مفهوم الحداثة[١]، وأطلق محمد اقبال على الاجتهاد أنه مبدأ الحركة في الإسلام واغلاقه هو تعطيل لهذه الحركة الفكرية والعملية[٢]، أما محاولة أركون فيغلب عليها الطابع الجدلي والسجالي وهي من حيث الروح العامة اقرب إلى العقل الغربي منه إلى العقل الإسلامي[٣]، وهذه المحاولات المقارباتية في البحث المعرفي بين مفهومي الحداثة والاجتهاد مشروطة بخروج مفهوم الاجتهاد من اصطلاحه التقليدي إلى العصرنة والرؤية المعاصرة لمفاهيم جديدة طرأت في الفقه والكلام والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والتعليم وتوسع التعليم الجامعي والعلاقات العلامة والخاصة ومفاهيم التطور والتنمية والموارد البشرية والسوق العالمية والمصارف الدولية كلها تحتاج إلى معالجة وفق تطوير مفهوم الاجتهاد والتخصص في موارده بعد هذا التوسع الكبير على مستوى النظرية والتطبيق، والاجتهاد في جوهره وفلسفته هو بمثابة النظام المعرفي الذي يقوم بمهمة ربط الدين بالدنيا، والشريعة بالحياة والفقه بالواقع، وقد تبلور هذا النظام المعرفي في حقل هو من أبرز ثمرات العقل الإسلامي الخالص في عصور ابداعه وتقدمه وهو حقل أصول الفقه[٤].

والاجتهاد كما هو منهج في النظر والتعامل مع العلم والبحث

---

(١) المرجع نفسه، ص١١١.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٣.

(٣) زكي الميلاد، الإسلام والحداثة، ص١١٧.

(٤) المرجع نفسه، ص١٢٢.

العلمي، هو أيضاً منهج في التطبيق، وفي التعامل مع حركة الواقع، وتحولات الزمن، وتحصيل أعلى درجات المعرفة بشروط العصر ومكوناته ومقتضياته[١]، وفي ضوء ذلك يكون الاجتهاد على قسمين:

١ - الاجتهاد الفكري.

٢ - الاجتهاد الفقهي[٢].

ويجعل الحياة أكثر تطوراً بعد ربطه بالواقع المجتمعي ومجالات تحديثه وتطويره، وهو الذي يصنع المجالات التطبيقية لافكاره ورؤاه.

ويرى الدكتور أحمد طه خلف الله وهو من مصر أن الجمع ما بين قيمتي الأصالة والمعاصرة في منظومة خلاقة يكون الإنسان المسلم هو الفاعل فيها من خلال الانتقال من مجال النظريات والنصوص إلى ميادين العمل والتطبيقات، خاصة وأن مجتمعاتنا الإسلامية لن تتحرك من فراغ، لأنها تملك مقومات الانطلاق الحضاري بشرط أن تستلهم أصولها الأولي، وفي نفس الوقت تستوعب منجزات العصر وبذلك يمكنها أن تقيم مجتمعاً إسلامياً عصرياً وحديثاً، يحقق ذاته وينمي طاقاته[٣].

وما يراه أحمد طه هو المسلك نحو البناء بعملية الانتقال من

(١) المرجع نفسه، ص١٢٥.

(٢) زكي الميلاد، الإسلام والحداثة، ص١٢٥.

(٣) أحمد طه، تردى الفكر الإسلامي، ص١٥٦.

الفكر إلى العمل الميداني (الروح التطبيقية) أو عملية الفكر التطبيقي للفكرة بعد الفكرة وفي كل الميادين الحياتية لنعيد نهضة علمية وعملية، ولا يستثنى من ذلك أحد، لأن البلد لا ينهض إلاّ بالجميع وهو ما يفكر به من أخلص النية واتجه إلى العمل، فالعراق يأمل أن يفكر مواطنيه بهذه الكيفية الكلية والتخلص من التفكير الجزئي الذي تأتي الأعمال جزئية فعلى مستوى المحافظات مثلاً نرى أن المجال التطبيقي في محافظة يفوق أخرى كما في محافظة ميسان مثلاً، ففكر محافظها العامل علي دواي يطبق الفكرة تلو الفكرة وهو عمل جيد ولكنه جزئي، فالمطلوب خلق التنافس في التطبيق لا التنافس الفارغ في مشاريع وهمية لا أساس لها، هذا على المستوى الخدمي وإعادة البنى التحتية الفكرية والعلمية لتحقيق المنظومات التطبيقية من المختبرات العلمية ومراكز الأبحاث والمعاهد الرصينة واعتماد الجدوى في الإنشاء والجودة في الأداء، ويرى أحمد طه في تجديد وتطوير البلدان ومنها مصر تجديد عدة خطابات منها:

١- الخطاب التعليمي.

فقد شرح فيه الوضع المأساوي لواقع التعليم في مصر وهو يشبه تماماً الواقع العراقي من انتشار ظاهرة الغش الفردي والجماعي، وتلاعب بعض الأساتذة بنتائج الامتحانات مع وجود السرقات العلمية والمجاملة في الترقيات وغياب المعايير الموضوعية والشفافية في اختيار القيادات واحتكار المناصب العلمية، وأصبح التعليم على مبدأ الحفظ والتلقين، والدروس الخصوصية، وعجز وزير التعليم عن إيجاد الحلول وبدل أن يستقيل يتهم المجتمع

على تخريب التعليم من خلال الدروس الخصوصية، ونتيجة كل ذلك تكون المخرجات لهذه العملية كما يقول الدكتور أحمد طه أن يتخرج الملايين من شبابنا متسلحين لا بالعلم والمعرفة، وإنما بالفساد والفهلوة والنفاق والكسل والأمية، ثم يعالج ذلك بما يوجب التخلص من أوجه الفساد والتردي إلى:

١ – الاهتمام باعداد المعلم وتوفير الحياة الكريمة له.

٢ – تطوير المناهج الدراسية بما يكفل حث التلاميذ على الابتكار والتفكير وليس الحفظ والتلقين.

٣ – دفع التعارض مع الثوابت الدينية.

٤ – الدعم المالي للتعليم.

٥ – تشجيع البحث العلمي، وإرسال البعثات وربط البحث العلمي بالإنتاج وظروف المجتمع المحلي[١].

٢ – الخطاب السياسي.

دعا أحمد طه إلى ضرورة الإصلاح السياسي لقيام النهضة الفعلية وأن يكون كل همّ السياسي خدمة بلده، وأن يتخلى عن الفكر الجامد والقصد المدخول والتفسيرات الحرفية المتزمتة التي كانت الأكثر تأثيراً في تكريس حالة التخلف والعزلة[٢].

أصبح السياسي يتحكم بمصير البلدان والشعوب لأنه مصدر

(١) أحمد طه، تردى الفكر الإسلامي، ص١٥٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٩.

القرار بعد تطور أنظمة الحكم من الحكومات الاستبدادية التسلطية إلى أنظمة الانتخابات والأحزاب والكتل والجمعيات، ففي العراق مئات الأحزاب والكتل والتيارات بعدما كانت لا تستطيع مجرد الكلام أمام الرأي الواحد والحزب الواحد والقائد الواحد، وجدت التعدد والكثرة وظهرت على السطح الدعوات الطائفية (وهي مشكلة كبيرة في العراق يجب التخلص منها فهي تهدد البلد بالحرب والدمار والتخريب) وهو عمل السياسي في تقريب وجهات النظر خاصة صاحب القرار ليجمع بين الكل ويخضع ويتذلل للأطراف جميعاً لخلق جو التسامح والمحبة والرفعة لأهداف سامية وعزيزة في بناء البلد، وهذا ليس بعيب فقد فعله الأنبياء والأئمة والصلحاء والعلماء والحكام من أهل العدل والتواضع وله أمثلة كثيرة في تاريخ البشرية، ومن المشاكل التي ظهرت في العراق بعد عام ٢٠٠٣م ظهور الأفكار التعصبية والضيقة في الحكم أي العمل للحزب أو الكتلة أو الطائفة أو المنطقة أو الفئة أو غيرها من النظرات الجزئية البائسة التي لا تبني دولة أمُ واقصد (بالدولة الأم) دولة الشمول والعموم بلا تمييز بين الشمال والجنوب أو الشرق والغرب بل هي دولة تراعي مصالح الناس جميعاً وفق نظرية الوطن والمواطنة وهو مفهوم يبني الجميع وللجميع من دون استثناء أبداً، ويراعي الجميع بمفهوم أن القانون وضع للشعب ويفسر لصالحهم لا كما هو اليوم يفسر لصالح الدولة ويحرم المواطن وكذلك في الأمن والجيش فتركيز ثقافة الخدمة للشعب كما هو الشعار غير المفعل (الجيش في خدمة الشعب) (الشرطة في خدمة الشعب) (الأمن في خدمة الشعب) (الدولة في

خدمة الشعب) هذه الشعارات يمكن تفعيلها لخلق ثقافة حب الدولة والتفاني في خدمتها، وهذه الثقافة سبقتها إليها الشعوب المتطورة فنجحت نجاحاً باهراً في كل المستويات العلمية والإنسانية.

٣- الخطاب الثقافي.

ضرورة الإصلاح الثقافي وبناء الخطابات الثقافية من وازع دفع عجلة التقدم العام لا أن تتحول بعض الخطابات نحو الشخصنة والأنا، فالثقافة ونقدها يجب أن تبنى على النظرة الكلية والشاملة وتتخلص من النظرات الضيقة وخاصة في وضعنا المعاصر للنهوض ببلدنا وأمتنا نحو الحضارة والتقدم ومواكبة العالم المتحضر وفي مختلف الجوانب، لا أن يتحدد الجانب الثقافي ببعض دون بعض إذ يركز الإعلام على أن الثقافة هي صور بعض الفنون دون بعض، فالثقافة مفهوم عام يشمل الحركة والفكر الإنساني فالثقافة في الدين والفكر والعلم والسياسة والاجتماع والقانون والحرف والمهن والفن بأنواعه والسينما والإعلام وغيرها لا أن يكون خطابنا في الثقافة بنوع معين على أنه هو الثقافة وحدها كتصوير أن الثقافة والمثقف هو الأدب والفن وهو اختزال لمجموعات الثقافات البشرية والإنسانية في مختلف الآراء والعلوم والآداب والحركات البشرية في المجتمعات البدائية والحضارية منذ خلق الإنسان إلى يومنا هذا.

يرى أحمد طه أن الثقافة أن لا تجرح مشاعر الآخرين فهي تخاطب الوجدان والعقول البشرية، وللإنسان الحرية في التعبير بلا

قيود مفروضة[1]، والانتقال بهذا الخطاب نحو الفعلية في مخاطبة الوجدان الشعبي لتحفيز الهمم وإيجاد البدائل ومراقبة الخطابات الثقافية المتطرفة والتي لها الآثار السلبية مهما كانت ومن أي شخص كان.

وتحتاج الثقافة في العراق إلى الخروج من أزمتها الخانقة وهو الفرق في الجزئيات والتفكيك المجتمعي وخلق التكتلات الثقافية مما يؤدي إلى العزلة والتهميش والاقصاء في حين أن الثقافة ليس لها حدود مع طائفة أو ملة أو توجه فهي تحقب للمجهود البشري وآثار ذلك على الحضارة العالمية، فالمثقف في العراق اليوم يشرنق نفسه ولن ينزل من برجه العاجي كما هو تعبير الدكتور علي الوردي، فالنزول صعود في الثقافة والصعود نزول في الثقافة.

٤ - الخطاب الاجتماعي.

إذا أردنا تطوير خطابنا الاجتماعي لابد من اعتماد الأسس الآتية:

١ـ مكافحة ظاهرة الفقر.

٢ـ الاهتمام بشريحة الشباب.

٣ـ نشر العدل الاجتماعي.

٤ـ احترام القانون[2].

٥ـ الوعي المجتمعي.

---

(١) أحمد طه، تردى الفكر الإسلامي، ص١٦٠.

(٢) أحمد طه، تردي الفكر الإسلامي، ص١٦١.

النقطة الخامسة مهمة جداً في الخطابات الاجتماعية وخاصة الخطاب السياسي الذي يتناول المسألة الاجتماعية أو الاقتصادي كذلك، لابد من بيان أثر الوعي المجتمعي بمعرفة الحقوق والواجبات، فالشعب الواعي لا يسمح بأخذ حقوقه ولا يتقاعس في أداء واجباته، والانتقال من الخطابات إلى الأفعال بطرق شتى اعلامية ومنبرية وسياسية وجامعية وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) على توعية المجتمع في المطالبة بحقوقه، والمشكلة في العراق هو عدم المطالبة بالحقوق العامة ولو مرت السنين تلو السنين، وهذه الظاهرة معبرة عن حالة القهر والغلبة والتسلط التي جرت على هذا المجتمع فولدت حالة من الخضوع والاتكالية أو اليأس أو الأمر يتحقق من نفسه ولم تتولد على النحو الجمعي ظاهرة المطالبة والطلب بالحقوق خوفاً من القمع الحكومي أو أن المانع ظاهرة الفقر ومشاكله التي تحبس الانفاس فهو غير مستعد للذهاب إلى المطالبة لأن فقدانه عمله ليوم يؤثر سلباً على وضعه، أو أن العلاقة التي تولدت بين الشعب والحكومة علاقة التسلط من قبل الثانية والخوف والكراهية من قبل الشعب الذي سلك وادياً غير وادي الحكومة وهذا في أغلب البلدان الإسلامية كما تشير إليه البحوث الانثربولوجية.

واليوم يمر العراق والمنطقة بأخطر المشاريع السياسية والاجتماعية من قبل الدول الكبرى لتمزيق أوصاله بحجة تغيير الخارطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية (مشروع الشرق الأوسط الكبير)، ويبدو أن المشروع مخطط له ويراد تنفيذه أما طواعية أو جبراً[١].

---

(١) أحمد طه، تردي الفكر الإسلامي، ص١٦٢.

وهذا المشروع الخطير لابد أن يشمله الخطابات الاجتماعية بنظرية (الوعي المجتمعي) ونشر خطورته وخطورة نتائجه والعمل على إلغاء مخططاته والتصدي إليها، بمشاريع فعلية من التطوير والتجديد والتحديث العام على مستوى الوعي أولاً وافشال كل المخططات الظاهرة على الساحة اليوم، وفشل التيارات الإسلامية دلالة واضحة على التبعية للمخطط فكان الأولى والأجدر بالتيارات الإسلامية التي وصلت إلى الحكم توعية هذه الشعوب بالتخطيط الغربي مع الخط الإرهابي كتحالف بعض التيارات المتطرفة مع المشروع الأمريكي والإسرائيلي لتغيير خارطة الشرق الأوسط.

ولتفويت الفرصة على هذا المشروع لابد أن نبدأ بالإصلاح الحقيقي وليست مجرد الخطب والشعارات، فالخطورة أن يأتي الإصلاح من الغرب فيؤدي إلى إلغاء الهوية الثقافية والخضوع القلبي والقالبي[١].

ولا يمكن نكران صعود الغرب العلمي والتقني والفكري ولكن هذا لا يستدعي الرضوخ والذلة ونكران الهوية بل يمكن التعامل مع هذا التطور لصالح الشعوب الأخرى.

يذكر فيليب كورتن في كتابه (العالم والغرب): «كان صعود الغرب إلى وضع من الهيمنة أحد أهم التطورات في تاريخ العالم في العقود الأخيرة، وقد تعامل العديد معه ببعض المنهجية المركزية، فبالنسبة للتاريخ الأوروبي وحده أو التاريخ الاقتصادي أو تاريخ

---

(١) المرجع نفسه، ص١٦٢.

النظام الدولي وكان على كل من يكتب عن عالم ما وراء أوروبا الأخذ بعين الاعتبار صعود الغرب بإدراك أو دون إدراك»[١].

إن الاختراق الغربي حقيقة لا يمكن نكرانها في شتى المجالات وحالة بين القبول والرفض ولكن مستوى القبول أكثر من الرفض في شتى المجالات ومنها الحالة الاجتماعية والعلاقات التي اجتاحت الخطابات الاجتماعية في عالمنا الإسلامي فافقدت الهوية وخلقت الانبهار الفكري والعلمي بالمنظومة الغربية مما دعا بالمفكرين والباحثين والمثقفين بعضهم طِبعاً أو الأغلب لتبني المشروع الغربي في بلداهم والذوبان فيه تماماً، ونظروا إلى تراثهم بازدراء وخلقت لهم عقدة اجتماعية بالدونية وهذا الأمر ادعى بالمتنورين إلى إعادة قراءة الفكر الأوروبي وظهر علم الاستغراب الذي كتب فيه حسن حنفي وغيره ممن شعر بالعقدة الاجتماعية للخروج من هذا المأزق والتدني الفكري وغياب الوعي المجتمعي.

ويبدو أن رفع حالة الفقر وزيادة المتعلمين أي العمل على رفع حالة الفقر الكبيرة في العراق مثلاً وإزالة الجهل عن المجتمع من أهم عوامل النجاح والنهضة في العراق بالذات أي العمل على نظرية الوعي المجتمعي فهو لا يتحقق إلاّ بإزالة شريحة الفقراء إلى مستوى العيش الكريم، والعمل على تعليم المجتمع وهما من أهم عناصر الفكر الإسلامي المعاصر.

---

(١) فيليب كورتن، العالم والغرب التحدي الأوروبي والاستجابة فيما وراء البحار في عصور الامبراطوريات، نقله إلى العربية: رضوان السيد، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص٣٣٣.

الأخلاقيات التطبيقية:

يعد مبحث القيم الأخلاقية (الاكسيولوجيا) من أهم المباحث في تاريخ الأمم البشرية، وتبقى النظريات الأخلاقية في حيز النظريات ما لم تتحول إلى سلوكيات مميزة لهذه الأمم.

إن الأخلاقية هي سلوك يكتسب بالتعليم والتعلم ولا علاقة للفطرة به، وفي القرن الخامس الهجري نبه إلى هذا المطلب التربوي الموضوعي الفيلسوف مسكويه[١]، يقول مسكويه (ت٤٢١هـ): «ليس شيء من الأخلاق طبيعياً للإنسان، ولا نقول أنه غير طبيعي وذلك إنا مطبوعون على قبول الخلق، بل ننتقل بالتأديب والمواعظ إما سريعاً أو بطيئاً، وهذا الرأي الأخير هو الذي نختاره لانا نشاهده عياناً»[٢].

ومن هذا الرأي نجد أن الإنسان يتعلم الأشياء ولابد أن يتعلم ويتأدب بالأخلاق الفاضلة لذلك حرصت المنظمات والمؤسسات الحكومية تعليم الجيل من الشباب القيم والأخلاق والعادات الفاضلة، وتهتم الدول بتربية المواطنة وأخلاقياتها فالدولة يجب أن تكون أخلاقية في تعاملها مع المواطن بقدر ما يتوقع من المواطن أن يكون هو أيضاً أخلاقياً في تعامله مع الدولة ومع المواطنين، فالدولة - حكومة ومواطنين - مسؤولة أن تنهج إلى هذه الغاية نهجاً علمياً لا يمارى في حقائق الأشياء[٣].

---

(١) محمد جواد رضا، الإصلاح التربوي العربي خارطة طريق، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م)، ص٨١.

(٢) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحق: نواف الجراح، (بيروت: دار صادر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص٣٠.

(٣) محمد جواد رضا، الإصلاح التربوي، ص٨١.

وضعت هذا العنوان ولم أكن أعرف تماماً متى ظهر أو أنه ليس له تاريخ حتى قرأت عنواناً مثله في مجلة الإحياء المغربية من خلال بحثي في الانترنت عن بحوث مشابهة فوجدت بحثاً قيماً جداً عن موضوعي هذا أحاول أن أنقل منه ما أراه مناسباً.

يرى البحث أن جذور مصطلح (الأخلاقيات التطبيقية) معاصرة (حديثة) لم تظهر إلاّ أواخر الستينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية مع انبثاق حقول معرفية جديدة تطرح تساؤلات أخلاقية غير مسبوقة وركزت الفيلسوفة الفرنسية جاكلين روس في كتابها الهام في هذا المجال (الفكر الأخلاقي المعاصر) على خمسة ميادين بارزة للأخلاقيات التطبيقية:

١ - أخلاقيات الطب والبيولوجيا.

٢ - أخلاقيات البيئة.

٣ - أخلاقيات الأعمال.

٤ - أخلاقيات وسائل الإعلام والاتصال.

٥ - أخلاقيات الممارسة السياسية.

وقد ركزت الفيلسوفة الكندية المتخصصة في الأخلاقيات التطبيقية ماري إلين باريزو في موسوعة الأخلاقيات والفلسفة الأخلاقية وهي:

١ - الأخلاقيات المهنية.

٢ - أخلاقيات البيئة.

٣ - أخلاقيات الطب والبيولوجيا.

وذكروا فروعاً من الأخلاقيات التطبيقية منها:

١ـ أخلاقيات الاقتصاد.

٢ـ أخلاقيات المعلومات التي ترتبط بميدان التكنولوجيا.

٣ـ أخلاقيات تكنولوجيا الفضاء.

يقول كاتب البحث الدكتور عمر بوفتاس[١] بأن الأخلاقيات التطبيقية ظاهرة ملفتة للنظر فقد غزت هذه المباحث التي تندرج في إطار ما يعرف بالفكر الأخلاقي الجديد جل ميادين البحث والممارسة في الدول المتقدمة، وصاحبتها ظاهرة أخرى لا تقل عنها إثارة للاهتمام تتمثل في تزايد الطلب على الأخلاق والدعوة لتخليق كل ميادين المجتمع الحديث:

١ـ تخليق المهن.

٢ـ تخليق السياسة.

٣ـ تخليق مؤسسات الدولة.

٤ـ تخليق التعليم والصحة.

٥ـ تخليق البنوك والمؤسسات المالية.

٦ـ تخليق الصحافة ووسائل الإعلام.

٧ـ تخليق الفضاء العمومي.

وغير ذلك مما يحيط بهذا العالم، ظهرت هذه الفلسفة بعد تراجع المواضيع الكلاسيكية للفكر الفلسفي بعدما كانت مهيمنة على

---

(١) عمر بوفتاس أستاذ في كلية الآداب في الدار البيضاء، المغرب.

الساحة الفكرية والثقافية منذ عقود خلت مثل العقلانية والتجريبية والوضعية والماركسية والوجودية والبنيوية بل تراجعت تيارات أكثر حداثة مثل التأويلية والتفكيكية والتحليلية وغيرها، وانطفاء متتالي للرموز الفلسفية الكبرى التي تركت بصماتها الواضحة على الفكر الفلسفي خلال القرن الماضي ومن أبرزهم:

١ـ لودفيج فدجشتاين.

٢ـ ميرلوبونتي.

٣ـ غاستون باشلار.

٤ـ الكسندر كويري.

٥ـ كارل ياسبرز.

٦ـ تيودور ادورنو.

٧ـ ماكس هور كهايمر.

٨ـ حنا آرنت.

٩ـ مارتن هايدغر.

١٠ـ هربرت ماركيوز.

١١ـ جان بول سارتر.

١٢ـ جاك لا كان.

١٣ـ ميشيل فوكو.

١٤ـ لوي التوسير.

١٥ـ فيليكس جواتاري.

١٦ـ هانس يوناس.

١٧ـ جيل دولوز.

١٨ـ جان فرانسوا ليوتار.

١٩ـ ميشيل هنري.

٢٠ـ هانس جورج غادامير.

٢١ـ جون رولس.

٢٢ـ جاك دريدا.

٢٣ـ بول ريكور.

٢٤ـ كلود ليفي ستروس.

ومن أبرز الأسماء العربية التي غادرت:

١ ـ محمد عابد الجابري.

٢ـ محمد أركون.

٣ـ نصر حامد أبو زيد.

لقد انتهى عهد الانساق والرموز الفلسفية أي أن المنتظر بعد ذلك الانطفاء لم يعد هو ظهور رموز جديدة، بل حقبة فلسفية جديدة تنسجم مع عصر المعلومات الذي أفسح المجال لجماعات البحث والحوار والتفكير الجماعي في ظل تكامل المعارف والتخصصات[1].

(١) للمزيد ينظر: عمر بوفتاس، الأخلاقيات التطبيقية ومسألة القيم، مجلة الاحياء في ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء/ المملكة المغربية. الموقع الالكتروني (www.alihyaa.ma)

تذكر جاكلين روس في كتابها (الفكر الأخلاقي المعاصر) في مدخل عظمة الأخلاق التطبيقية أم بؤسها؟ هل ينبغي زرع عصبية، السماح بأبحاث تتصل بالهندسة الوراثية،وقف الحمل في حالة التشوه؟، أن مذاهب الأخلاق النظرية المطبقة في شتى الحقول الاجتماعية والعملية وهي حاضرة في كل مكان، ومطلوبة داخل المشروع وفي اللجان الطبية على قدر سواء، أنها لا تحظى بسمعة طيبة عند المفكرين، وعلى الرغم من ذلك فإن فكرة الانطلاق من مبادئ، والهبوط من جديد إلى مختلف الدوائر العلوم البيولوجية، الإعلام الجماهيري، عالم التجارة... الخ[١].

وتتساءل جاكلين روس: ألا ينبغي إبراز الابهام الذي يحيق بـ(الأخلاق النظرية المطبقة) على الممارسات الراهنة؟[٢]، ثم تتساءل أيضاً: ما المعنى الدقيق للأخلاق النظرية العملية في عصرنا؟، وتجيب بتمهيد لنفحص بالترتيب:

١ـ الأخلاق الحياتية.

٢ـ أخلاق البيئة.

٣ـ أخلاق التجارة.

٤ـ أخلاق الإعلام.

٥ـ أخلاق السياسة.

(١) جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة وتقديم: عادل العوا، (بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ٢٠٠١م)، ص١٠٨.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٩.

ويمكن أن نعرف (الأخلاق الحياتية) هو بحث يجري على الأخص بالنظر في القطاع الحيوي - الطبي وتطبيقاته ويشمل: دائرة السيطرة على الانجاب، ودائرة السيطرة على الوراثة والجملة العصبية، والأمور الطبية الأخرى[١].

ويبدو من التطور التقني في شتى مجالات الحياة توجب وضع قوانين اخلاقية ملزمة أو ضرورة تقنين الأخلاق في عالمنا المعاصر بعد غياب الروحانية من أهل الروحانية وطغيان المادية والمذاهب النفعية وإن ورد علينا الاشكال الذي يؤكد أن الأخلاق تصبح قوانين الزامية لا التزامات اخلاقية تميز الشخصية الفردية أو الجماعية.

أما الأخلاق البيئية فهي حريصة على اتخاذ الطبيعة موضوع حقوق بالمعنى الصحيح، وهنا يتميز مبدأ المسؤولية ورعاية حقوق الكرة الأرضية وفكرة عقد طبيعي بين الإنسان والطبيعة، فما دامت الطبيعة تعطي الإنسان فإن على الإنسان أن يقدم لها المقابل[٢].

والأخلاق التجارية حظيت في الثمانينات بازدهار وكثرت حلقات دراسة هذا الموضوع وقد طرحت موجة من الفضائح، فافتتح سنة ١٩٨٠م في ول ستريت باشراف اليسوعيين (مركز التفكير الأخلاقي) لارباب المصارف الكاثوليك، وفي سنة ١٩٨٥م انتظم أكثر من خمسمائة درس عن هذا الموضوع في مدارس التجارة واكتتب أكثر من أربعين ألف طالب، وهكذا صار الأكثر

(١) جاكلين، الفكر الأخلاقي، ص١١٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٢٤.

من ثلاثة أرباع المشروعات الكبرى في الولايات المتحدة مدونة سلوك، وأقيمت لجان أخلاق نظرية ثم امتدت إلى الميادين الأوربية (انكلترا، بلجيكا، ايطاليا، اسبانيا، فرنسا)، ثم دخلت التعليم العالي، وهذه النظرية تبحث عن المصلحة العامة إذ تجهد للتوفيق بين حاجات المنتج والمستهلك تتعرض منفعة الجميع[١].

أما الأخلاق النظرية الإعلامية وهي منظومة واجبات يرسخ قدمها في مشروع مسؤولية، وفي الاحترام الذي يحدد اليوم شكل الأخلاق النظرية التطبيقية، وللحد من الانحرافات في كل مكان في التطورات الراهنة ولابد من تقديم خدمة الحقيقة لأنها الرسالة الأساسية للصحافة[٢].

وفي الأخلاق النظرية والسياسة ترابط، فإن شعور المواطنين بأنهم غارقون وسط إدارة مغلقة، ينبعث عندئذ مطلب أساس أخلاقي نظري يؤدي إلى التساؤل عن غايات العمل ووسائله، أن بول ريكور أوضح أن السياسة تبلغ الفرد على مستوى السلطات التي يقدر عليها وعلى رغبته في الحياة الطيبة التي تحدد البعد الأخلاقي النظري للعمل، وتذكر جاكلين روس بأن انهيار الماركسية - اللينينية والشيوعية ولد فراغاً، وإذ تملك الرأسمالية شبه احتكار الحقل العالمي، صار من الملحّ فهم الديمقراطية وحقوق الإنسان في ضوء الأخلاق النظرية وكذلك إعادة توحيد الأخلاق النظرية والسياسة على نحو ما يدعونا

(١) جاكلين، الفكر الأخلاقي، ص١٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣٠.

إليه ريكور وررولز وأيضاً هابرماس بفكرته عن ذرائعية كلية وهي بناء اتصال شاف لا يخضع لصنوف القسر والعنف[١].

وتؤكد جاكلين روس في خاتمة كتابها فتقول: أن في ذلك محاولة إعادة تأسيس جذري وهو مقوم زماننا، وإنما البحث عن أخلاق نظرية صالحة للإنسانية بأسرها[٢].

نظرية تجويد الأفعال في الفكر الإسلامي:

يذكر مسكويه بأن صناعة الأخلاق أفضل الصناعات لأنها تعنى بتجويد أفعال الإنسان بما هو إنسان[٣] فأما تجويد جوهره فمفوض إلى الإنسان، هو معلق بإرادته فاعرف هذه الجملة، ينبغي أن نعرف نفوسنا ما هي؟ ولأي شيء هي؟، فأفضل الناس أقدرهم على إظهار فعله الخاص، والزمهم له من غير تلون فيه ولا اخلال به في وقت دون وقت، وإذا عرف الأفضل فقد عرف الانقص على اعتبار الضد[٤] إشارة إلى القاعدة: الشيء يعرف بضده[٥].

وأشار مسكويه إلى التطبيقات بالقوة العاملة وهي نظم الأمور وترتيبها وهو الجزء العملي أو هو الكمال الخلقي ومبدؤه من ترتيب قواه وأفعاله الخاصة بها، حتى لا تتغالب وحتى تتسالم هذه القوى

(١) جاكلين، الفكر الأخلاقي، ص١٣٢.
(٢) المرجع نفسه، ص١٣٥.
(٣) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص٣٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٥.
(٥) المصدر نفسه، هامش ص٣٥، المحقق.

فيه، وتصدر أفعاله كلها بحسب قوته المميزة منتظمة مرتبة كما ينبغي وينتهي إلى التدبير المدني الذي يرتب الأفعال والقوى بين الناس، حتى تنتظم إلى ذلك الانتظام ويسعدوا سعادة مشتركة، كما كان ذلك في الشخص الواحد[١].

هذا كله في حالات التطبيق والخروج إلى الفعلية لأن الأخلاق تظهر وتتجلى بالفعل المميز للإنسان دون غيره من الكائنات كما يقرر مسكويه في كتابه بقوله: «الإنسان من بين سائر الموجودات له فعل خاص به لا يشاركه فيه غيره، وهو ما صدر عن قوته المميزة المروية، فكل من كان تمييزه أصح، ورويته أصدق، واختياره أفضل، كان أكمل في إنسانيته»[٢]، وهذا من أهم التعاريف الذي يعرف به الإنسان بأنه: كائن أخلاقي مميز بفعله، إذ يظهر الفعل الأخلاقي منه ليظهر إنسانيته المميزة له.

إن هذا الكائن (الإنسان) تتجاذبه الأطراف المضادة لذلك يقول مسكويه: «وأن الخيرات والشرور في الأفعال الإرادية هي إما باختيار الأفضل والعمل به، وإما باختيار الأدون والميل إليه»[٣].

يفهم من كلام هذا الفيلسوف إشارات كثيرة في عملية أو عمليات الكائن الأخلاقي نحو التميز والاختلاف لإظهار الإنسانية في ذاته ومع المجتمع وكل ذلك يتضح بآثار وحركة الفعل وإظهاره

(١) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧.

بصفة جديدة موافقة للفكر والنظر، ومن هذه الإشارات التطبيقية كالآتي:

١- مفهوم التجويد (إظهار الميزة).

تسعى الأسر والمؤسسات التربوية والتعليمية وأنظمة الدولة وقوانينها العمل على مفهوم التجويد في إظهار الميزة الإنسانية في كل السلوكيات الشخصية والعامة بتخليق الفعل الأخلاقي وتعزيزه بالتطبيق، وتسعى الدول بخلق العناصر وبعث حالة التجويد بالتحفيز والتشجيع لإظهار ميزة الأخلاق في الإنسان والحرص على إظهارها أكثر من غيرها من العلمية والقدرة والأمور المميزة الأخرى، وجعل تلك الميزة عامة أو أغلبية في كل شعب.

٢- القوى العاملة في الإنسان.

إن تحفيز القوى العاملة في الذات الإنسانية لهي أكبر الدواعي في مؤسسات الدولة والنظم التعليمية فحالة العمل في الفكر الإسلامي حالة مقدسة مع هذا لم تُفعّل وتُعتمد الاتكالية والتبعية أو التحصيل السهل في الشعوب العربية والإسلامية لذلك تخلفت كثيراً، فعندها الموارد الاقتصادية والبشرية وكل مقومات النهضة لكنها قد فشلت في برامجها التطورية أو النهضوية لأنها فاقدة لعناصر تحريك وتحفيز القوى العاملة في الذات الإنسانية فالعمل مطلوب مقدس في كل النصوص القرآنية إشارات بل يقينيات ثابتة بقدسية العمل الخاص والعام وبفضل وقدسية العمل الجماعي أو لأجل الموجود ونكران الذات في أعلى مستويات الجذب الأخلاقي لفكرة ما أو دين

ما بل هي أعلى نفعاً واستقطاباً من اللغة الكلامية أو توزيع الكتب أو النشرات في ساحات العامة في عصر الحرية في أوروبا.

وبالعمل يخلق التدبير المدني والإنساني بشبكة من العلاقات بين الناس منظمة وفق التدبير المدني الطبعي وهو من أهم الإشارات في إظهار الميزة الإنسانية الطبعية في التعايش والتوافق مع الآخر بدون عداء مستحكم أو تحول نحو الهجوم المسلح الخاضع لنظرية المساهلة في قتل الآخر المحرم فندم على فعلته (أولاً آدم)، لأنه شعر أن هذا الفعل أو هذه القوة ليست من ميزته بل هي من ميزة الأدون (الحيواني)، وليس من طبعه لأن طبعه المدنية والتعايش، ولأن اختلاف الأشياء المحيطة به طبيعية تماماً، فهو يساير الطبيعة في ضوء الاختلاف والانتظام.

٣- سير النظام والتدبير المدني.

هذا الكائن الأخلاقي ليس وحده في الوجود كبرت السكانية أم صغرت، هذا التعايش والمدنية بالطبع تخلق العلاقات وتخليقها بالفعل الأخلاقي كميزة فاعلة في الصفة المميزة للإنسان، سير هذا النظام ينحو منحى التدبير المدني الأسري أو الحكومي المقوم للنهوض، كما يقول مسكويه كما مر: «وتصدر أفعاله كلها بحسب قوته المميزة منتظمة مرتبة كما ينبغي وينتهي إلى التدبير المدني الذي يرتب الأفعال والقوى بين الناس، حتى تنتظم إلى ذلك الانتظام ويسعدوا سعادة مشتركة كما كان ذلك في الشخص الواحد»، وهنا تظهر تطبيقاته الفعلية ولكن في ضوء القوة المميزة، لا بقوى أخرى

ثانوية فهنا اعتبر مسكويه القوى المميزة له قوة الأخلاق التطبيقية أو المطبقة وهو ممن حفز إليها الدين الإسلامي بمصادره النظرية والعملية، النظرية (القرآن والسنة القولية للنبي والأئمة عليهم السلام) والعملية (الفعلية والامضائية) وابراز الوظائف العامة والخاصة، وهي غير بارزة في التثقيف التطبيقي للأمة على نطاق واسع.

وهذه القوة المميزة (الأخلاقية التطبيقية في الإنسان الواحد أو المجموع المنصهر مع هذه القوى المميزة للمجموع) تتكون الأسر والمجتمعات بل الحرص المؤسساتي (الدولة + المؤسسات) على تشريع القوانين الملازمة للفعل الأخلاقي وإظهاره للوصول إلى السعادة ولو بنسبة فوق الخمسين لآثر ذلك في سعادة الفرد والجماعة.

ومفهوم التدبير المدني بحاجة إلى إعادة قراءة موافقة لعصرنا وتقدمه نحو السلام والتعايش المجتمعي وفق إبراز قوى الإنسان المميزة وهي الأخلاقية المطبقة وتخليق الانفعال جميعها بوسائل التحفيز والدعوة إليه بوسائل إظهارها فهي المانعة عن العدوان والغلبة غير العادلة، وهي الكاشفة عن البعد والأبعاد الأدونية التي تشكل الخطورة في الوضع المدني العام.

التطبيقات العلمية والإنسانية:

لا شك ولا ريب أن التطبيقات العلمية لها من الثمار الكبيرة لأنها توضح وتحقق الدرس النظري في الكليات التطبيقية فلا تكاد تنفصل الدروس النظرية عن الدروس العملية أبداً، فلا يصح أن يعطى

الدرس النظري في الفيزياء أو الكيمياء أو الكهرباء من دون التطبيق الفعلي لخطوات الدرس النظري، لذلك احتيج للمختبرات كقاعات مهمة لإجراء التجربة العملية، وقد تطورت الدروس التطبيقية وتحولت إلى تجارب ومشروعات علمية تتحول بعد ذلك إلى شركات استثمارية لتحويل المشروع العلمي إلى إنتاج فعلي يصل إلى المستهلك، والبحوث العلمية أصبحت اليوم علامة مضيئة في رقي البلاد وتطورها بمقدار ما عندها من مختبرات وقاعات نظرية لتطوير البحث المعرفي، فالدول المتقدمة تهتم بالبحث العلمي اهتماماً بالغاً يفوق كل اهتمام، وعلى هذا فالبحث العلمي يتوافر فيه عنصران:

١ - الدرس النظري.

٢ - الدرس العملي.

ويكمل أحدهما الآخر ولا يمكن أن يكتفي بأحدهما، وتصرف الدول أموالاً طائلة لنجاحات البحوث العلمية ومجالات تطويرها في داخل البلد أو الاستعانة بالآخر لتشكيل اتحاد علمي أو اتحادات لشركات عالمية مساهمة، ويُهتم بصاحب الانجاز العلمي في حال نجاحه وظهوره أشد الاهتمام وتمنح له الشهادات التقديرية المعنوية والمادية وتفرغ له القاعات النظرية والعملية لشرح هذا الابتكار أو الاختراع ومجالات تطويره بجهده أو جهود جماعية، ونحن بحاجة إلى تحفيز التفكير نحو الابتكار والابداع في المجال العلمي لدى الشباب الثانوي والجامعي بالخصوص بعد تلقي اهتمامات بالغة في

توجه الطالب الابتدائي نحو حقل من الحقول المعرفية، ويبرز هذا في حالات زيادة الحصص العملية للكشف عن الطاقات التوجيهية عند الطلبة والطالبات، وفسح المجال التطبيقي للاهتمام الطلابي من غير مادة نظرية مقررة وفعلاً سيتوجه كل طالب أو طالبة نحو اهتمامه الفعلي بلا قيود مرسومة ليطور قابلياته الذاتية وهواياته المفضلة ومنه يُخلق الابداع الفكري الذي بالتالي يتطور به البلد، فإن المجالات التطبيقية هي التي تخلق الابداع وتنمي القابليات الابتكارية بالتكرارية المستمرة، وكلما نزيد حصة الدرس العملي تنفتح رغبات الطلبة وتشتد الرغبة بخلاف المنهج الصارم من الدرس النظري أو العملي فإنه يولد الملل والسأم وتقل القابليات الابداعية للعوائق المذكورة، فانا أرى أن يكون الدرس المفتوح عنوان التقدم الحضاري المعاصر، ولا أقصد بالدرس المفتوح بلا مفهوم بل أقصد تحديد المفاهيم العلمية والإنسانية لتتم المناقشة والتبادل والتداول والاتصال الفكري وفق حرية الرأي والمشاورة سواء في الدرس النظري أو الدرس العملي والأخير يكون أكثر شفافية في الاختيارات الطلابية لخلق جو من التنافس الإبداعي الخلاق.

وإذا لم يحصل ذلك الاختيار من الدرس المفتوح في حقل علمي واضح فتجعل حصة اسبوعية مفتوحة تماماً في الاختيار ليطبق الطالب أو الطالبة ارادتهما في الوصول إلى نتائج متنافسة وحتى الذي لم يحقق النتائج كان الرسوخ العلمي في ذهنه بخلاف الحفظ السيء والنجاح الباهر لمجرد الحفظ لذلك فإن الحفظ في الامتحان هو عادة سيئة وأن طبقناها في حياتنا الدراسية سواء كان في المادة

العلمية أو الإنسانية، ولكي يرقى البلد ويتطور لابد من خطوات فاعلة لتغيير نمط الدراسة في الدراسات التعليمية من المرحلة الأولى إلى الشهادة الجامعية، وليحصل البلد على مخرجات فاعلة في التطبيق الفعلي للمادة المدروسة.

أما النمط الدراسي في الجامعات العراقية مثلاً فهو نمط تقليدي مخرجاته غير فعالة في المجالات التطبيقية العلمية فيحتاج إلى تفعيل المناهج الحديثة وزيادة المختبرات وتحفيز المبدعين والمخترعين وجلب المختبرات المتطورة إلى العراق مع الكوادر الفاعلة للتدريب لأكثر من مجموعة بخلاف الارسال الفردي فتأثيره قليل بخلاف الفرق العلمية الزائرة أو تفعيل الأستاذ الزائر لمدة سنة أو أكثر في مختلف الفروع العلمية لتطوير وتنمية أكثر لمجموع الطلبة والطالبات إذ يتعذر أن تكون هذه الأعداد متواجدة في جامعة من جامعات العالم المتطورة للتطبيق.

ولزيادة الفاعلية في التأمل والفكر والعمل (التطبيق) اقترح الاهتمام بالدرس التاريخي لكل فرع من الفروع العلمية، فالعراق مثلاً يمتلك ثروة هائلة من الانجازات الحضارية في العلوم الطبية والفيزيائية والكيمياوية والعلوم الفلكية وغيرها فهذا الدرس يمكّن الطالب أو الطالبة في معرفة جذور هذه العلوم ومراحل التأسيس والتطوير وتعزيز قوة الترابط مع المكان في الخلفية الحضارية المحفزة بل من أكبر العوامل المحفزة لإعادة قراءة تراث الأمة والاستفادة من هذا الأثر العلمي كحوافز معرفية تعمّق الشخصية وتعلقها بتاريخها وتكوينها، وهنا يمكن اقتراح علم تاريخ جديد يمكن أن يقدم تفسيراً

أفضل للتطورات العلمية، والعلاقة القائمة بين العلوم والمحيط الفكري العام، والعلاقة التي تربط بين التفاصيل العلمية التقنية في مجال معين والدعم الاجتماعي ومعرفة هذه المجالات[١].

حاولت المصادر الحديثة والمعاصرة التغاضي عن الإنتاج العلمي العربي والإسلامي في عصور ازدهار العلم الإسلامي فقد شكل اكتشاف نويغبور للصلة المباشرة بين أعمال كوبرينك وبين نظريات حركات الكواكب العربية، التي كانت قد نشأت في العالم الإسلامي قبل ذلك الوقت بزهاء قرنين أو ثلاثة، أمراً مثيراً للصدمة لم تستوعبه بعد المصادر الثانوية التي تروي تاريخ العلم بشكل عام، ولذلك نرى أن عدداً ضئيلاً من الباحثين يدرك وجود هذه الصلة ويقدّر معناها[٢].

وكان نويغبور هو الذي وسع دائرة البحث، وبدأ يبحث عن نقاط تشابه أخرى للأفكار بين أعمال علماء عصر النهضة وعلماء العالم الإسلامي، وفي هذا السياق ناقش مجدداً فصلاً من التذكرة في علم الهيئة الذي كتبه نصير الدين الطوسي وترجمه برنار كرّادي فو إلى الفرنسية في عام ١٨٩٣م ونشر بعنوان (الكرات السماوية وفقاً لنصير الدين الطوسي)[٣]، وكذلك ما حصل أيضاً مع مؤيد الدين العرضي زميل الطوسي المكلف ببناء مرصد مراغة الشهير[٤]، وكذلك دراسة عن قطب الدين الشيرازي وهو من تلامذة الطوسي وهو من اعضاء

(١) جورج صليبا، العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، ص٧.
(٢) جورج صليبا، العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، ص٣٢٠.
(٣) للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ص٣٢١ - ٣٢٧.
(٤) المرجع نفسه، ص٣٢٧.

مرصد مراغة[١]، حفظت مخطوطات هذه الكتب الفلكية في الفاتيكان تحت رقم ٣١٩ (Arabo)[٢].

يذكر جورج صليبا نقلاً عن فيزاليوس: أن هؤلاء العرب الذين قد اصبحوا الآن بجدارتهم مألوفين لدينا كما ألفنا اليونانيين، يمكننا أن نستنتج أن العلم العربي في عصر النهضة كان علماً ينافس العلم اليوناني الند للند.

أما بالنسبة إلى العلم الرصدي، فيبدو أن العلم العربي كان ينظر إليه كعلم متفوق على العلم اليوناني[٣].

هذه بعض الملامح للتأثير والتأثر وهي حالة تداولية متعاقبة للحضارات وتطورها، إنما ذكرنا بذلك لنتسلح بالبعد العلمي الذي يمكن إعادته مرة أخرى ومنافسة العالم الغربي مرة أخرى لوجود مقومات النهضة والسباق فيها.

أما اليوم فقد تغيرت الأحوال تماماً بالاعتماد على الفكر العلمي الغربي الذي تطور كثيراً لا يمكن الاستغناء عنه في المؤسسات التعليمية والجامعات العربية والإسلامية حتى لو حاولت بعض الافكار تحويل العلوم أي (أسلمة المعرفة) فهي غير ناجحة للبون الشاسع في التطور في التقنية والسباق القافز يومياً ولكن إعادة التطور التقني العلمي ليس مستحيلاً.

(١) المرجع نفسه، ص٣٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٤٨.

(٣) صليبا، العلوم الإسلامية، ص٣٦٩.

أما تطبيق العلوم الإنسانية، فالأمر يختلف تماماً عن التطبيق العلمي المختبري التجريبي، فهذه نوع آخر من التطبيقات كثيراً ما تتركز على التطبيقات التربوية وطرائق التدريس والبحث الميداني الوصفي أو الاحصائي ونتائج مثل هذه التطبيقات يترتب عليها البرامج المستقبلية في تغيير خطط المناهج والطرائق لدفع عجلة التقدم في العلوم الإنسانية الراسمة لتطور عجلة العلم والمعرفة في وزارتي التربية والتعليم، وفي شتى حقول المعرفة الإنسانية كطرائق تدريس الطلبة أو القيم السلوكية وتنمية القابليات أو علم النفس التربوي فمثلاً يراعى في أساليب تنمية القيم السلوكية يركز على ثلاثة أبعاد(١):

١ - البعد المعرفي.

٢- البعد الوجداني.

٣- البعد السلوكي.

ويمكن استنتاج المعايير الموضوعية للقيمة مباشرة من الصورة المنظوماتية المعاصرة للعالم، القيم أهداف يسعى السلوك لتحقيقها، يعين علماء الانثربولوجيا الثقافية المعاصرون عدداً من القيم الأساسية العالمية يتشاركها الناس أينما وجدوا(٢)، غالباً ما يكون البحث الإنساني مغلوطاً في نظر بعض الناس أو بعض علماء العلوم التطبيقية، فهناك نظرة متعالية نجدها منتشرة في أغلب الجامعات

(١) المدرسة العربية الالكترونية (www.Schoolarabia.net).

(٢) أرفين لاشلو، الرؤية المنظوماتية للعالم نظرة كلانية إلى عصرنا، تر: معين رومية، (دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠١١م)، ص٩٧.

العربية والإسلامية والدول المتخلفة لنظرتها الدونية لمثل هذه العلوم التي تعد في أغلبها من الترف الفكري كالتاريخ والفلسفة والأدب واللغة وغيرها لاعتقادهم أن البحث فيه عديم الجدوى، وهذه النظرة السلبية أدت عدم الاهتمام بمثل هذه العلوم كعزوف الطالب في العلوم الدينية عن الدراسة التاريخية والفلسفية، وعدم ادخال مادة علم الأخلاق في الدراسات الأكاديمية والحوزوية لأنها مادة يمكن أن تقرأ خارج المنهج وهذا ليس بصحيح فإن المادة النظرية غالباً تؤدي إلى التطبيق ولو نسبياً وأدخل منهج الأخلاق كمادة في كل أقسام كلية الفقه رغبة في بناء جيل أكاديمي يحمل القيم الأخلاقية وبما أن كلية الفقه ذات صبغة دينية اهتمت بهذه المادة نأمل أن تتوسع فكرة هذه المادة في العلوم التطبيقية أسوة بكلية الفقه في جامعة الكوفة بل في كل جامعات العراق إن شاء اللّه تعالى.

إن العلوم الإنسانية تحمل الأهداف الكبرى في تسيير عجلة التقدم برسم الخطط الستراتيجية السياسية والاقتصادية والمالية والتخطيطية للبلدان المتطورة والمتخلفة، وفتحت جامعات وكليات تعنى بالانسانيات المطبقة في مختلف بلدان العالم العربي كتونس مثلاً وغيرها.

أما الجانب الديني وأحكامه ووفق نظرية النص النازل والنص الشارح يكون النبي ﷺ مطبقاً لأصل النظرية الإلهية النازلة والقرآن ونصوصه هي المدونة الوحيدة في العالم كنص دُوّن لحظة نزوله واعتنى اللّه بحمايته (العناية الإلهية) والحفظ فضلاً عن التدوين المباشر لذلك كان النبي ﷺ يردد بعض الألفاظ ليسرع في الحفظ

فقررت النصوص لا تعجل به فإنه محفوظ بطرق شتى غير الطريقة التقليدية وفعلاً حفظ هذا النص إلى يومنا، ولكن المشكلة والإشكالية الكبرى في تطبيق أوامره ونواهيه ومواعظه وإرشاداته تكاد تكون مفقودة والإسلام اليوم في محنة لجدلية الديني والسياسي اليوم.

والقضية الجوهرية في الدين والسياسة التطبيق للشعارات الموجودة في التنظير والمفقودة في التطبيق، ومن بعض من ينظر للإسلام السياسي بعد غياب الفكر القومي العربي والعلماني وغيرها من التيارات المبعدة للدين في المراحل التي مرت غير مجد لتنظيم الدولة اليوم نحن نعيش صعود التيارات الدينية في المشرق وصعود الأصولية في الغرب، ولكن لم تقدم هذه التيارات الدينية أي مشروع سياسي ناهض ما عدا التجربة الإيرانية والسعودية، فالتجربة الإيرانية قد نجحت في التنمية والتطور والبناء بالاكتفاء الذاتي والتصدير وقاومت تيارات العلمنة وتغلبت عليها، والتجربة السعودية مصدرة الإرهاب فالمؤسسات الداخلية دينية صارمة ومشددة وداعمة للفتاوى الإرهابية والدولة مصلحية فهي تدعم العلمانية في مصر والتشدد في سوريا وغيرها مثل الجماعات المدعومة الإرهابية في العراق، أما التجارب الأخرى على المستوى التطبيقي فقد فشلت في العراق ومصر وتونس والجزائر والأردن وغيرها بعد الربيع العربي المدعوم من الغرب لاحداث فوضى هدامة تدعم بالقوى الإسلامية إلى الحكم لإعلان فشلها لغياب البرنامج السياسي الفعلي فهي مسلحة بالتنظيرات الطويلة الفارغة والشعارات الرنانة واكتسب اتباعها الشدة والغلظة في تعاملهم مع الآخرين بل التكفير والتقتيل

بلا وازع ولا رحمة ولا شفقة كأنهم لا يملكون إلاّ الشدة والنقمة والتهور لذلك فشلوا كتجربة الاخوان في مصر فعبروا عن الإسلام بالمساوئ ونشروا الآلام والحزن والقهر والاقصاء وحكموا على الشيعة بالنجاسة والرجس ومن خالفهم بالكفر والمروق عن الدين لأتفه الأسباب وانتهى أمرهم إلى قتل الشرطة والجيش والدخول في حرب مع الأهالي من أبناء جلدتهم، ونشروا هؤلاء الرعب في العراق بلا وازع ولا ضمير ولا دين فأباحوا كل أنواع الجرائم وفعلوها من غير ندم بكل وقاحة وعجزت المحاكم في ردعهم فصدق من قال: «مجرم غير نادم ومحكمة جبانة»[١].

فالعالم السياسي يعيش في غاية القوة والاحتيال والنفعية والتبريرية للأفعال المشينة أو الشر المحض (نظرية الاستبداد) كما أسماه مطاع صفدي في كتابه (نقد الشر المحض، نظرية الاستبداد في عتبة الألفية الثالثة)، وظهر مع هذا العالم السياسي المتوشح بالدين (الأصولية الغربية، والأصولية الشرقية)، وفي عالمنا الإسلامي ظهرت النماذج السوداء التي نشرت الرعب والخوف كما شنت الغارات في عهد الإمام علي عليه السلام، ليلتقي الاثنين في ساحة الحرب والحرب سجال.

ظهرت مجاميع سوداء قلباً وقالباً يفهمون الإسلام مقلوباً كما هو تعبير الإمام علي عليه السلام في وصف هذه المجاميع الرهيبة التي لا همّ لها سوى القتل والتقتيل والدمار وصناعة الموت في كل مكان ويفعلون كل شيء فهو لهم مباح وليس لغيرهم الكلام مع كلامهم

(١) امبرتو إيكو، دروس في الأخلاق، تر: سعيد بنكراد، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٠م)، ص١٤٥.

ولا يقتنعون بشيء إلاّ برأيهم ورأي الأمير وأمير الأمراء، وهم في مجال القتل أسرع تطبيقاً وفي مجال الكلام ابطأ لأنهم لا يفقهون سماحة الإسلام وعدله ولا كرامة الإنسان وقدره في محكم كتابه وسنة نبيه ﷺ.

قال الإمام علي عليه السلام يصف الإسلام: «لانسُبنَّ الإسلامَ نسبةً لم ينسبها أحدٌ قبلي، الإسلام هو التسليمُ، والتسليمُ هو اليقينُ، واليقينُ هو التصديقُ والتصديقُ هو الاقرارُ، والاقرارُ هو الأداء، والأداءُ هو العمل الصالح»[١]، والعمل هو مرحلة التطبيق مشروطاً بالصالح لا الطالح.

ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يصف حال الأمة وهي من الملاحم وهذا الوصف الاجتماعي نجده اليوم عياناً ظاهراً يعمل به، قال عليه السلام: «وتواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق، فإذا كان ذلك كان الولد غيظاً والمطر قيظاً، وتفيض اللئام فيضاً. وتغيض الكرامِ غيضاً، وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، واوساطُه أكالا، وفقراؤه أمواتاً، وغار الصدق، وخاض الكذب واستعملت المودة باللسان، وتشاجر الناس بالقلوب وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولُبِسَ الإسلامُ لبس الفرو مقلوباً»[٢].

---

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح: محمد عبده، (دمشق: مطبعة كرم ومكتبتها، بلا تاريخ)، ج٣، ص١٦٥.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج١، ص٢٠٩.

ظهرت الأغلبية بهذا الشكل المروع في عالمنا المعاصر الذي استحكم فيه الشر وتمادى فانتشر الفقر والجهل وضاعت الحقوق الفعلية والنظرية وتحركت الناس بالورق في اثبات وجودها وهلك الآلاف بتدوينات ملفقة وتصدر الفاشل وأبعد الناجح وعمت الفوضى وبررت الأفعال وتحولت الازدواجية والثلاثية إلى منهج عمل وتلون مصلحي، وتغيرت العلاقات بين الناس مثلما ذكر وأشار أمير المؤمنين عليه السلام في التحولات الاجتماعية عن تطبيقات أخلاق القرآن والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا يمكن الرجوع ولا أقصد بمفهوم الرجوع الرجوع التاريخي بل أقصد التأمل والنظر في الواقع لتغييره نحو المفاهيم الصحيحة للدين الإسلامي الذي اعتمد على بيان مفاهيم إسلامية إنسانية كثيرة جداً غير منظور إليها اليوم ومغيبة تماماً في ساحة الواقع، وهذا الغياب ولد ثقافة العنف والاقصاء والتهميش في جسد الأمة فتمزقت لصالح من لا يحب للإسلام النهضة والرفعة، ولو التفت أبناء الأمة إلى هذا الخطر لما تشتتوا كل هذا التشتت الذي لا تحمله أصل نظريتهم (القرآن والسنة) فهي داعية إلى الوحدة والنهي عن الفرقة وأجمل من قال في وصف الفرقة والافتراق كحال واقعية نراها كل يوم الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء قالها مدوية: «قلنا قبل هذا أن الإسلام قد بني على دعامتين (توحيد الكلمة) و(كلمة التوحيد)... توحيد الخالق، وتوحيد بين الخلائق كم قلنا؟، وكم نبهنا؟، وكم صرح الحكماء والمصلحون من قبلنا، ولكن هل أثر ذلك؟، كلا - لا والله حتى صرنا اليوم نخجل أن نتكلم في اتحاد أو

جمع كلمة، وحتى عرف رجال الغرب أن المسلمين اتفقوا على أن لا يتفقوا، وأبو إلاّ أن يتفرقوا، وأصبحت الأذناب تعلو على الرؤوس حتى آل الأمر إلى اسوأ الأحوال»[١].

ومن هنا تأتي خطورة التطبيقات في العلوم الإنسانية وبصفة خاصة الفكر السياسي والديني والثاني اخطر لأنه أكثر شعبية فلو حصل فيه انحراف علاجه صعب كما صرح محمد حسين النائيني في كتابه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) فقال: «وعلاج شعبة الاستبداد الديني أصعب وأشكل من علاج باقي القوى، بل هو في حدود الامتناع، ولا سبيل للردع عن الاستبداد وإظهار الاغراض الشهوانية بمظهر الدين إلاّ بالعدالة والتقوى» وقال في موضع آخر يشير إلى خطورة الاستغلال الديني: «فلا نتصور مانعاً يحول دون الاستبداد والاستبعاد وإظهار التحكمات النفسية بصورة الدين، وليس بامكان الضعفاء والعوام من الأمة أن يميزوا فيما بين تلك الأوصاف وأضدادها أو أن يأخذوا الحيطة والحذر من الوقوع في شباك الصيادين وقطع الطرق باسم الدين»[٢].

وهنا يحذر الشيخ النائيني من تطبيقات دينية مزيفة لها الأثر السيء في عكس صورة الإسلام تماماً أي قلب مفاهيمه الراسخة في ذاكرة المسلمين أي قلب الذاكرة رأساً على عقب فتكون ردة الفعل اوقع وأبعد وذو تأثير كبير على نفسية المتدين فيشعر بالغربة في حين

(١) محمد الحسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، جمع: عبد الحليم كاشف الغطاء، (بيروت: دار التوجيه الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٦٩.

(٢) محمد حسين النائيني، تنبيه الأمة وتنزيه الملة، تعريب: عبد الحسن آل نجف، تحق: عبد الكريم آل نجف، (قم: مؤسسة أحسن الحديث، ١٤١٩هـ)، ص٢١٠.

يفرح الفكر الآخر على أن الإسلام لا يصلح لقيادة الدولة أو شيء من الفكر المعاصر الذي تغير فيه كل شيء.

وتكلم النائيني عن الشعور النفسي للمسلم تجاه الدين وحبه العاطفي المركوز عند الأغلبية على أنه العدالة والاستقامة والانصاف والمروءة والتفاني وغيرها من الصفات التي تركزت في الذاكرة عن الدين فلو استبد المتدين نفر عنه الجميع وابتعد، فالناس أسرع إلى الدين وفكرته من باقي الأفكار وهم كذلك افر منه إذا تخلى عن صفاته عندهم.

فمحاولة الخداع والمتاجرة بالدين لها امتداداتها التاريخية إلى يوم الناس هذا، وخصوصاً ما نراه اليوم بعد صعود التيارات الإسلامية وفشلها في دول كثيرة وهيجان الناس بمظاهرات عارمة أدت إلى سقوطهم لأنهم فقدوا الصفات الإسلامية في ذاكرة المسلم.

أما خطورة الفكر السياسي التطبيقي هو وقوعه في الاستبداد والطغيان والفردية، والسياسة علم واسع جداً، وقلما يوجد إنسان يحيط به، وقلما يوجد إنسان لا يحتك به[1]، ويقول الكواكبي: «تضافرت آراء أكثر العلماء الناظرين في التاريخ الطبيعي للأديان على أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني، والبعض يقول: إن لم يكن هناك توليد فهما اخوان، أبوهما التغلب وأمهما الرياسة... هم مخطئون إذا نظروا إلى أن القرآن جاء مؤيداً للاستبداد

(١) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تحق: محمد جمال طحان، (دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م)، ٤٥.

السياسي... الخ» ثم يقرر الكواكبي بناءً على ما استعرضه من الأقوال من أنه:

لا مجال لرمي الإسلامية بتأييد الاستبداد...[١]، يرفض الإسلام فكرة الاستبداد السياسي والديني ويعطي صوراً رائعة في النص القرآني عن السلطة الفرعونية والسلطة النبوية أو السلطة المُصلِحة، أو السلطة الطاغوتية المنفردة والسلطة النابعة من أسس الإصلاح والموافقة لطبيعة البشر لأن السلطة المطبقة للظلم وقسوته تفقد الإنسانية وتتحول إلى صراع الغابة، وافتراس الآخر وابتلاعه. فالدين والسياسة في الفكر الإسلامي (القرآني) يلتقيان في العدالة ويفترقان في الاستبدادية والاستبعادية.

إن الفكر الديني والفكر السياسي يلتقيان في الأصل النظري لكل الأديان بشكل عام والإسلام بشكل خاص يؤسّس على نظرية العدالة كل بُناه الاجتماعية وخطابه اللغوي ولا يصل بالزيف أو من يستغل الزيف لأغراض شخصية فهو قد انسلخ من أصل النظرية التي عمادها العدالة، وما ينبغي لها أيضاً (السياسة) في إطارها المتعالي وتطبيقها (الاجتماعي) أن لا تتحلل من العدالة لتصل بالمجتمع إلى الطبقية المقيتة والحكم الطاغوتي المستبيح كل الحدود.

وفي ضوء هذه يمكن تقدير أثر الاستغلال الديني والسياسي وبالأخص الإسلام وأمكنته الغنية التي هي من أهم دوافع الزيف والمراوغة للوصول إلى الحكم من قبل المستغلين الذين يمارسون

(١) للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ص٦١ وص٦٩.

دوراً كبيراً على المستغلين فتنفصم عرى العدالة وتتحول الأمور الدينية أموراً تبريرية تخدم الظلم لا العدالة باسم الدين وقراءته قراءة تؤصل للظلم والطغيان وشرعية المستبد الظالم، وقد عانى المجتمع العراقي من ذلك الكثير الكثير.

ولابد من التنبيه عن خطر العلم من دون ضمير والافراط الخارج عن السيطرة والهوس بالأداء العلمي والانتاجية المربحة، هذه حقيقة ويتعين عدم التهوين من نتائجها(١)، أن السكونية في العلوم كافة هو موت لها، ولكن الحركية في العلوم يجب أن تكون بمنطلقات علمية رصينة مبتعدة من التوظيف الشخصي أو الطائفي أو غيرهما إلاّ التوظيف المعرفي الخالص.

كنت اقرأ في كتاب لعبد الحكيم أجهر اسمه (التشكلات المبكرة للفكر الإسلامي دراسة في الأسس الانطولوجية لعلم الكلام الإسلامي) وأقلب صفحاته حتى وصلت إلى مصادره فرأيت أنه أبعد كل مصادر الإمامية في هذه التشكلات وكأنه تغافل وجودهم بتعمد مع اهتمامه بفكر المعتزلة ومسألة الحسن والقبح العقليين والغريب أنه أدعى دراسة الأسس لعلم الكلام الإسلامي فهل أن الإمامية من المسلمين؟، هذا هو غياب الضمير المعرفي من البحث الاقصاء المتعمد لارضاء طائفة ما مثلاً أو ايديولوجيا حاكمة تغيب عندها المعايير العلمية فهو يضع ابن تيمية كنموذج في علم الكلام(٢).

---

(١) طارق رمضان، الإصلاح الجذري، ص١٤٣.

(٢) عبد الحكيم أجهر، التشكلات المبكرة للفكر الإسلامي دراسة في الأسس الانطولوجية لعلم الكلام الإسلامي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م)، ص٢٠٦.

الآثار التطبيقية:

أولاً: في المجال العلمي.

تكون في بعض الأحيان الآثار التطبيقية لبعض المجالات العلمية كارثية تعاني منها الأجيال تلو الأجيال لمئات السنين، لا زالت اليابان تعاني من أثر الضربة الكارثية بالقنبلة الذرية عليها، فالإشكال الكبير لماذا صنعنا مثل هذا الدمار بأنفسنا؟، يقول مدني صالح في كتابه (بعد خراب الفلسفة) في وصف التحكم الأمريكي والأوروبي في العالم وهو تنبيه للعالم أجمع: «أن الاعتقاد بعصمة الفلسفة الأوروبية والقيادة التاريخية الأورو أمريكية لا يؤدي بالتاريخ إلاّ بالذي هو فيه الآن: مدن وأقطار وقارات ومنظومات شمسية متحفزة تتحفز للتقاذف بالصواريخ وأعتدة الإبادة التي لا تبقي ولا تذر»[1]، هذا الوصف للقيادة قيادة العالم بالعلم المتطور الذي يسير بسرعة هائلة في شتى المجالات لم يوضع لخدمة الإنسانية بل للسيطرة على ثروات العالم بالرهبة والرغبة، فأصلح العلم التقني التسليحي في تسابق عجيب ومجالات تطبيقه مدمرة وهائلة التدمير في الإنسانية وماديتها على أرض الواقع.

ربما يقول بعضهم هذه نظرة تشاؤمية لأن الكثير من الأسلحة هي لحماية البشر أو لتداويهم من الأمراض وغيرها من المنافع مثل الكهرباء وبعض الصناعات وهذا ينطبق على الأسلحة النووية ففيها المعالجة لبعض الأمراض السرطانية، ويمكن أن نقسم الآثار العلمية

(١) مدني صالح، بعد خراب الفلسفة، (بيروت: دار الهادي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ص١٥.

من ناحية التطبيق على قسمين:

١ – الآثار العلمية النافعة.

٢ – الآثار العلمية الضارة.

فالنافعة هي العلم التطبيقي المحبذ لعموم الشعوب وهو يقع في خدمتهم وتطورهم وازدهارهم سواء تناول النفع الطبي أو الهندسي أو التقني، وآثاره واضحة للعيان من انتفاع الناس بالبحوث الطبية على فايروس معين للقضاء عليه، أو الأبحاث المتعلقة بإزالة آثار الحروب المدمرة كما هو في العراق لوجود أرقام هائلة وكارثية من أعداد الصواريخ والمقذوفات والألغام غير المنفلقة ويتعرض أبناء العراق عند المرور من هذه الأراضي إلى القتل أو البتر أو التشوه أو غيرها من الآلام والأحزان المأساوية وهذه تدخل في الآثار الضارة والمدمرة، ابتكر العالم الصناعي اليوم أنواعاً كثيرة من العلوم في شتى المجالات تعالى بها العالم الغربي على الشعوب الثانية أو الثالثة وخلق في أوساطها الدمار، فقد عانت الشعوب من الامراض المصنوعة (الفايروس المصدر) لشعوب التخلف كأفريقيا وآسيا أو الدم الملوث لنشر أمراض الايدز وغيرها أو تكثير حيوانات غير مرغوب فيها في العراق لاغراض مستقبلية أو خلق الافكار العلمية المغلوطة في نفوس طلبة العلوم التطبيقية وخاصة في البعثات الخارجية لمثل هذه الدول، أي تغيير الإنسان أو صناعة إنسان آخر ظاهره العلمية وباطنه التدمير لنفسه ولغيره.

ومن الآثار المدمرة الاستعمالات للأجهزة الحديثة والمعاصرة

والتي يجب ضبطها بآليات الدولة الأخلاقية وفلسفتها بل تقنين ذلك بقوانين ضبط تحافظ على المجتمع من الانحدار نحو الجريمة أو الضياع في المخدرات التي هي أهم مشكلة تواجه المجتمع البشري اليوم ومحاربتها واجب شرعي ووطني والتزامات أخلاقية، وغيرها من مشكلات التقنية أو الأخلاق التقنية، وفي الحقيقة يعاني اليوم المجتمع البشري من التطورات الهائلة في أشكال العلاقات نتيجة التطور التقني والعلمي وسهولة الاتصال العلمي فله وجهان وجه حسن ووجه قبيح وسيء ما لم توجد له حماية ذاتية من التحول إلى الاضرار الكبيرة مقابل المنافع القليلة، فخراب المجتمع وانحداره هو نكسة ما بعدها نكسة لأن المجتمع سيتحول إلى قيم مصطنعة صنعتها الحضارة المادية من الابتزاز والتحايل والاستحواذية العجيبة التي نراها اليوم في المؤسسات الحكومية والمدنية الأهلية وغياب النفع العام والايثارية والورعية ومفاهيم غابت عن الساحة اليوم، ولكي نفعّل الرؤية القرآنية في صنع الإنسان الملتزم ولا أقول الإنسان المتدين لأن المتدين لنفسه والملتزم لمجتمعه وللإنسانية فهو انفع وإن لم يكن متديناً، أرى أن يقرأ القرآن ونصوصه أو يفسر تفسيراً جديداً معاصراً تزاحمت فيه المفاهيم والمصطلحات يسمى بالتفسير المفاهيمي أو التفسير المصطلحي للقرآن، وهذا التفسير سوف يركز على مفاهيم علمية وإنسانية ومجتمعية ومقاصدية وغيرها ممن ينتقد المجتمع المعلوماتي المتسارع نحو العلمية الصرفة والإنسانية المنظمة للواقع.

فالآثار العلمية المتسارعة النافعة والضارة هي بحاجة لصنع الأداة

المنضبطة في حالة التطبيق الفعلي والتخلص من الآثار الضارة كآثار المفاعلات النووية ومخلفاتها على الإنسان، فقبل الصنع يجب التفكير فيما تناله هذه التطبيقات من آثار مدمرة على الإنسان ليس بجسمه بل بنفسيته وتحولاته، والضابط لتلك التصرفات التطبيقية هو الوازع الديني كفكرة تتعامل مع النفس الإنسانية من خوف أو رجاء، وفكرة الدين هي صمام الأمان لكي نكون على قدر المسؤولية في تصرفات المجال الواقعي الحياتي.

ومن أعظم ما يرتكز في وظيفة الديني صفة العدالة ولا أقصد رجال الدين أو علماء الدين أو من يرتبط بالدين من جهة معمقة بل أقصد الديني الذي لا يخلو من دين أبداً ينظم حياته الشخصية والاجتماعية، فالدين ينظم التصرفات والسلوك بداع الخوف والرجاء، فتنطبق عليه بهذا التصرف جملة عناصر أخلاقية تتعلق بطريقة السلوك العلمي والموضوعية في هذا السلوك[1]، ولا زال الكلام عن الآثار في المجال العلمي الذي يمكن ضبطه بالعناصر الموثوق بها لأن مصائر العالم البشري بأيديهم وهذا ينطبق بكل مسؤولية علمية أو سياسية أو إدارية أو اقتصادية أو دينية أو غيرها من المسؤوليات وقد عالج الفكر الإسلامي ذلك بضبطه بنظام النقد الصالح (الأمر بالمعروف) وهو أعظم هدية تهدى للإنسان هي نقده في بيان المعروف وتحفيزه له، وهذا يعني المجال التطبيقي للمعروف في جعله صفة عبادية معمولاً بها بل من الواجبات كالصلاة حسب تنظيمها الفعّال في

(١) فؤاد زكريا، التفكير العلمي، ص٢٦٥.

المجتمع لضبط حالات كثيرة في الرقابات الذاتية والاجتماعية وحتى على مستوى الاحتجاجات والمظاهرات هي صفات من هذه الوظيفة العبادية كحركة رقابية منظمة في ذاكرة الأمة، فهذا هو الشق الأول أما الرقابة بالاتجاه الآخر (النهي عن المنكر) وهي ضابطة ذاتية على التصرفات الشخصية، وتترقى إلى الجماعية والصفة المميزة أيضاً للأمة، والنهي عن المنكر تشكل ثقافة الكلمة والصوت والفعل وتتشكل في ذاكرة الأمة حق جمعي وحرية رفع الأصوات والأيادي نحو التغيير العبادي كوظيفة رفع الظلم من المجتمع، رغم أن هذه الوظيفة رفع لوائها النظري القرآن وجسدها الإمام الحسين عليه السلام على أرض الواقع حتى لو تطلب التضحية بالنفس من أجل هذه الوظيفة العبادية في تصحيح المسارات الخاطئة ومن أوضح مصاديقها السياسة الخاطئة في قيادة الشعوب إذ أن هذه الوظيفة تحبس أنفاس السياسي إذا فُعّلت تماماً، وهناك دراسة وافية لمايكل كوك في هذا الشأن فكتابه (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي) دراسة في غاية الأهمية[(١)]، وقد حقب فيها لهذه النظرية ما بين آراء الفقهاء والمتكلمين إلى الآراء التطورية لهذه الفريضة، ولكن نحن نقول: أن هذه الفريضة تعبر عن فلسفة البناء الاجتماعي في الإسلام من خلال هذه الفريضة التي دخلت عليها الكثير من التحجيم إلى أن انتهت إلى الكراهة في قولها وفعلها

---

(١) وهو من كبار المستشرقين في العالم الغربي، وهو أستاذ في قسم دراسات الشرق الأدنى - جامعة برنستون. يقع كتابه في ٩١٠ صفحة، ترجم نصه وقدم له رضوان السيد وعبد الرحمن السالمي وعمار الجلاصي ونشرته الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

فحجمت وقلصت إلى أضيق حدودها، وأصبحت غير فعالة لأنها تمس السياسي بدرجة قصوى إذ هي الرقابة المحددة والمضيقة لسلطته في الدولة.

ثانياً: في المجال الإنساني.

في الفكر الإنساني لا تختلف الصورة كثيراً عن المجال العلمي فالآثار التطبيقية أيضاً على نحوين:

١ - الآثار الفكرية النافعة.

٢ - الآثار الفكرية الضارة.

إن التفكير الفكري النافع لخلق صورة تطبيقية ممزوجة بالفكر النافع الثقافي والاجتماعي في الواقع، فإن الأكثر خطورة في الأبحاث الفكر الديني والفكر السياسي على أرض الواقع وتحريكه نحو النمو والتنمية وإحياء الموارد البشرية والطبيعية.

فالآثار النافعة في المجال الإنساني الديني (علم الاجتماع الديني)، يمكن البناء في ضوء النص القرآني: «لأن روح القرآن تتجلى فيها النظرة الواقعية»[١]، وبلا شك تطبيق هذه النظرة لها الآثار المؤثرة والمنعكسة على المجتمعات الإسلامية، بل تأثير في بناء الحضارات الإنسانية كما استمد ابن خلدون نظريته من النص القرآني في الطبائع والعمران، يذكر محمد اقبال: «والحقيقة أنه

---

(١) محمد اقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، تر: عباس محمود، راجعه: عبد العزيز المراغي ومهدي علام، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م)، ص١٤٦.

يبدو أن مقدمة ابن خلدون تدين بالجانب الأكبر من روحها إلى ما استوحاه المؤلف من القرآن، بل هو مدين للقرآن إلى حد كبير حتى في أحكامه على الأخلاق والطبائع»(١)، وغيرها من الآثار البعيدة والخطيرة في التكوينات الاجتماعية وفق التفكير الديني النافع.

أما في المجال السياسي فأيضاً له الدور النافع في قيادة الشعوب نحو العدالة الاجتماعية أو العدالة العامة، تؤسس إلى الآثار النافعة في الاستقرار والتقدم والتفريح المجتمعي كدول كثيرة في العالم لم تسمع فيها أي مشكلة اجتماعية خطيرة سببتها السياسة لهم، بل أن السياسة لها صفة الخدمية والتطلع إلى الغد المزدهر الخالي من العقد الاجتماعية أو الصراع الطبقي أو التنازع العرقي أو الطائفي أو المناطقي.

والآثار الضارة كثيرة جداً التي تولد نتيجة تفكير ديني جزئي أو طائفي، ووباء ذلك كارثي كظهور الخوارج في التاريخ كفكر ديني سياسي اقصائي ويشبه ذلك الفكر الديني لابن تيمية الذي اعتمد كفكر تطبيقي لمحمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية فاكتسب نتيجة ذلك القساوة في التصرف والتعامل والالغاء فظهرت الوهابية الاقصائية بالنظرة الجزئية ثم فكر حسن البنا وجماعة الاخوان وتنظير سيد قطب وتبرعم القاعدة منه فكراً دينياً شمولياً عسكرياً قاتلاً بطرق وحشية مقابل الخصوم ففشل في كل شيء وفر الناس منه وطلب معونة الآخر للقضاء عليه، وهو فكر نمى وتطور بدعم

(١) المرجع نفسه، ص١٦٠.

الاقطاب الكبرى في العالم لانعكاس ثمراته لهم دون غيرهم وتوالي مصائبهم على من يزعمون أنهم يريدون تحقيقه لهم من المسلمين، وهذا ما نراه في مصر فقد خرج الملايين يرفضون استمرار حكم الاخوان وأخونة المجتمع وتمسك الاخوان بالشرعية الانتخابية وأصر المجتمع المصري على سحب الشرعية، وأيد الازهر رأي المجتمع، ومصر اليوم تؤسس لنظرية حكم الشعب واهب الشرعية والقادر على سحبها متى ما انحرف الحاكم مهما كان، وله نظير في أحداث التاريخ.

فالشعب له القدرة في إعطاء الشرعية وسحبها ويكون الشعب هو صاحب القرار وهو تأسيس أعلى من الديمقراطية الغربية وسوف تنشط الشعوب الإسلامية نحو مسك القرار وتتحول الحكومة إلى مؤسسة خدمية تخدم المجتمع وتحافظ على شؤونه، وربما ستخرج نظرية جديدة في الحكم بدأت بوادرها في بعض شعوب المنطقة كتونس ومظاهرات العراق واليمن والبحرين وحتى في السعودية نفسها في قابل الأيام، والتفكير السياسي الضار التمسك بالنظريات القديمة في الحكم أو التنظير للحكم الطاغوتي وخصوصاً التنظير السياسي للحاكمية في العرف الإسلامي، والأحزاب والتيارات الدينية التي استعملت المصطلح ذاته في تصدير حكمهم على الجماعات والأفراد مع أنه ملتبس كثيراً يحتاج إلى وقفة بل وقفات!.

فالذي يحكم بحكم الله سبحانه وتعالى هم الأنبياء والأوصياء لتوفر عنصر العدالة المطلقة وغياب الظلم بكل أنواعه أما غيرهم فاستحالة ذلك على أرض الواقع.

ومحاولات التيارات المعاصرة التنظير لذلك ففشلت في التطبيق في تحقيق العدالة وغياب الظلم، وحققت بعض النماذج الإسلامية النجاح واستنهضت غيرها كالثورة الإسلامية في إيران التي تأثرت فيها تيارات إسلامية في العالم العربي والإسلامي، ولكن لم تنجح في التعامل مع المجتمعات وتصورت الرضوخ والاذعان لدعواتها الإسلامية باعتبارات الدين وسحريته ولكن المخالفة لسحر الدين يولد الهزيمة والبعد والفرار من دعاته ولو بعد حين، وتولدت نتائج خطيرة على صورة الدين في ذاكرة المسلمين، وعلى المسلمين ومعهم اليوم الإسلام في محنة شديدة مضافة ومتراكمة يحاول نزعها فلا يستطيع، لأنها من الآثار الضارة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم هو القول الفصل.

أحمد طه خلف الله.

١- تردى الفكر الإسلامي المعاصر بين الأصولية المستبدة والعلمانية المستفزة، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠١٠م).

أحمد مطلوب.

٢- في المصطلح النقدي، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ).

أحمد الموصللي.

٣- موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م).

إدريس هاني.

٤- المعرفة والاعتقاد مقاربة عبر - مناهجية في انساق الفكر الإسلامي، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٢م).

٥- ما وراء المفاهيم من شواغل الفكر العربي المعاصر، (بيروت: الانتشار العربي، ٢٠٠٩م).

أدرهم، فوزي كمال.

٦- (نحو منهج جديد للدراسات الإسلامية)، مجلة المنهاج، السنة السابعة، العدد ٢٧ الصادرة عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

ارفين لاشلو.

٧- الرؤية المعلوماتية للعالم نظرة كلانية إلى عصرنا تر: معين رومية، (دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠١١م).

امبرتو إيكو.

٨ دروس في أخلاق، تر: سعيد بنكراد، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٠م).

امزيان محمد محمد.

٩- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٢٩هـ).

بلقزيز، عبد الإله.

١٠- قراءات في مشروع محمد أركون الفكري (ندوة فكرية)، (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١١م).

البوشيخي، الشاهد.

١١- (قول في المصطلح)، مجلة دراسات مصطلحية، العدد الأول لسنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م وهي مجلة حولية محكمة يصدرها معهد الدراسات المصطلحية.

١٢- دراسات مصطلحية، (القاهرة: دار السلام، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

بول ريكور.

١٣- صراعات التأويلات، تر: منذر عياشي، مراجعة: جورج زيناتي، (بيروت: درا الكتاب الجديد، ٢٠٠٥م).

جاكلين روس.

١٤- الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة وتقديم: عادل العوا، (بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ٢٠٠١م).

الجالي، زكريا منشاوي وآخرون.

١٥- فلسفة النقد بحث بعنوان (منهج البحث النقدي عند كارل بوبر)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م).

جورج صليبا.

١٦- العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، تر: محمود حداد، (بيروت: ناشرون، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

حسيبة، مصطفى.

١٧- المعجم الفلسفي، (عمان: دار اسامة، ٢٠٠٨م).

حنا، سامي عياد وآخرون.

١٨- معجم اللسانيات الحديثة، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧م).

الحيدري، محمد.

١٩- معجم الأفعال المتداولة وموطن استعمالها، (قم: مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، ١٤٣١هـ).

ديكارت، رينيه.

٢٠- مقال عن المنهج لأحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم، تر: محمود محمد الخضيري، مراجعة: محمد مصطفى حلمي، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م).

الرازي، محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ).

٢١- مختار الصحاح، (دمشق: مطبعة الملاح، بلا).

راوية عبد المنعم عباس.

٢٢- ديكارت والفلسفة العقلية، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٦م).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ).

٢٣- المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ).

الربيعي، حسن كريم ماجد.

٢٤- الأسس المنهجية في نقد الأصول الرجالية، (بيروت: دار العارف للمطبوعات، ٢٠١٢م).

رضا داوري أردكاني.

٢٥- نحن ووعورة طريق الحداثة، تعريب: عبد الرحمن العلوي، (بيروت: دار الهادي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

رودولف كارناب.

٢٦- البناء المنطقي للعالم والمسائل الزائغة في الفلسفة، تر: يوسف تيبس، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١١م).

روبير مارتان.

٢٧- مدخل لفهم اللسانيات، تر: عبد القادر المهيري، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧م).

روزنتال و ب يودين.

٢٨- الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦م)، لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين.

زكي الميلاد.

٢٩- الإسلام والحداثة من صدمة الحداثة إلى البحث عن حداثة إسلامية، (بيروت: الانتشار العربي، ٢٠١٠م).

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ).

٣٠- مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠١م).

السيد الشريف الجرجاني، علي بن محمد الحسيني الحنفي (ت٨١٦هـ).

٣١- التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

الشاذلي، عبد السلام.

٣٢- الأسس النظرية في مناهج الأدب العربي بمصر (١٨٧٠ - ١٩٤٨م)، (القاهرة: الهيأة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م).

الشريف الرضين، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى (ت٤٠٤هـ).

٣٣- نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضين من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح: محمد عبده، (دمشق: مطبعة كرم ومكتبتها، بلا).

طارق رمضان.

٣٤- الإصلاح الجذري الأخلاقيات الإسلامية والتحرر، تر: أمين الأيوبي، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٠م).

طلعت الأخرس.

٣٥- الابستيمولوجيا نحو فلسفة جديدة للعلوم، مجلة فلسفات معاصرة مجلة فصلية، العدد التاسع، ٢٠١٠م.

عاطف وليم اندراوس.

٣٦- دراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات، (الأسس، القواعد، الخطوات، المعايير)، (الاسكندرية: دار الفكر الجامعي، ٢٠٠٧م).

عمر بوفتاس.

٣٧- الأخلاقيات التطبيقية ومسألة القيم، مجلة الإحياء في ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية الموقع الالكتروني (www.alihyaa.ma).

الغذامي، عبد الله.

٣٨- النقد الثقافي في قراءة الانساق الثقافية العربية، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ).

٣٩- معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

فتغنشتاين لودفيك.

٤٠- تحقيقات فلسفية، تر: عبد الرزاق بنّور، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧م).

فرانك نوفو.

٤١- قاموس علوم اللغة، تر: صالح الماجري، مراجعة: الطيب البكوش، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٢م).

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت٧٧٠هـ).

٤٢- المصباح المنير، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٢٨م).

فؤاد زكريا.

٤٣- التفكير العلمي، (القاهرة: مكتبة مصر، بلا).

فيليب كورتن.

٤٤- العالم والغرب التحدي الأوروبي والاستجابة فيما وراء البحار في عصور الامبراطوريات، نقلة إلى العربية: رضوان السيد، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

القاسمي، علي.

٤٥- علم المصطلح، (بيروت، ناشرون، ٢٠٠٨م).

قاموس المعاني.

٤٦- في الموقع الالكتروني (www.almaany.com).

كريم موسى.

٤٧- فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، (بيروت: الفارابي، ٢٠١٢م).

الكواكبي، عبد الرحمن.

٤٨- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تحق: محمد جمال طحان، (دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م).

لالاند، اندريه.

٤٩- موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، تعريب: خليل أحمد خليل، (بيروت: عويدات، ٢٠٠٨م).

لورانس أ. برافين.

٥٠- علم الشخصية، تر: عبد الحليم محمود السيد وأيمن محمد عامر ومحمد يحيى الرخاوي، مراجعة: عبد الحليم محمود السيد، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م).

محسن علي عطية.

٥١- الجودة الشاملة والمنهج، (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ).

ماري كلودلوم.

٥٢- علم المصطلح مبادئ وتقنيات، تر: ريما بركة، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٢م).

مراد وهبة.

٥٣- المعجم الفلسفي، (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٩م).

المظفر، محمد رضا.

٥٤- المنطق، تعليق: غلام رضا الفياضي، تحق: جماعة المدرسين، (قم: جماعة المدرسين، ١٤٢٣هـ).

محمد امهاوش.

٥٥- قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث الدكتور نجيب الكيلاني نموذجاً، (اوبد: عالم الكتب الحديث، ١٤٣١هـ).

محمد سبيلا.

٥٦- الثقافة العربية في القرن العشرين حصيلة أولية، اشراف: عبد الإله بلقزيز، تحت عنوان (التاريخانية في الفكر العربي عبد الله العروي نموذجاً)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١م).

مايكل كوك.

٥٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، تر: رضوان السيد وآخرون، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩م).

محمد مفتاح.

٥٨- المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٠م).

المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة.

٥٩- قسم المصطلح، بإشراف: حسن كريم ماجد الربيعي، مركز الفكر الإسلامي المعاصر، العراق - النجف الأشرف.

محمد جواد رضا.

٦٠- الإصلاح التربوي العربي خارطة طريق، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م).

مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب الخازن (ت٤٢١هـ).

٦١- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحق: نواف الجراح، (بيروت: دار صادر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٦٢- المدرسة العربية الالكترونية (www.Schoolarabia.net)

محمد الحسين كاشف الغطاء.

٦٣- في السياسة والحكمة، جمع: عبد الحليم كاشف الغطاء، (بيروت: دار التوجيه الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

محمد حسين النائيني.

٦٤- تنبيه الأمة وتنزيه الملة، تعريب: عبد الحسن آل نجف،

تحق: عبد الكريم آل نجف، (قم: مؤسسة أحسن الحديث، ١٤١٩هـ).

مدني صالح.

٦٥- بعد خراب الفلسفة، (بيروت: دار الهادي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

محمد اقبال (ت١٩٣٨م).

٦٦- تجديد التفكير الديني في الإسلام، تر: عباس محمود، راجعه: عبد العزيز المراغي ومهدي علام، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م).

ناظم عودة.

٦٧- تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٩م).

النملة، علي بن إبراهيم.

٦٨- إشكالية المصطلح في الفكر العربي الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ٢٠١٠م).

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت٤هـ).

٦٩- معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءاً من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تحق: جماعة المدرسين، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٦هـ).

ويكيبديا.

٧٠- الموسوعة الحرة، موقع انترنت.

وولف. أ.

٧١- فلسفة المحدثين والمعاصرين: تر: أبو العلا عفيفي، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م).

وغليسي، يوسف.

٧٢- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، (بيروت: ناشرون، ١٤٢٩هـ).

المحتويات

يُعد هذا الكتاب محاولة تأسيسية لبحوث معرفية أكثر جدية في رسائل وأطاريح الجامعات والمعاهد التي تبحث عن المعرفة المنتجة والتخلص من البحوث المستهلكة والفارغة والتكرارية والجامدة والتي تشكل همّ المجاوزة لمرحلة معينة فقط والحصول على درجة تلك المرحلة، وبعدها يبقى الباحث في حيرة تجاه المعرفة التي تخدم المجتمع، ولكي نطور القدرات المعرفية فقد تجاوزت المنهج الكلاسيكي القديم، فوضعت هذه الحدود الأربعة.

حسن كريم ماجد الربيعي

جامعة الكوفة - كليّة الفقه



الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com

